

تعلم التوحيد

حق الله على العبيد

التوحيد والعقيدة الصحيحة، من الكتاب والسنة وما أجمع عليه علماء الأمة

زهير رزق الله


شبكة
الألوكة


بسم الله الرحمن الرحيم





تعلّم

التّوحيد

حقّ الله على العبيد

زهير رزق الله



تقريظ الدكتور سعد العتيبي

بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد،

فقد قرأت واطلعت على كتاب **"تعلم التوحيد حق الله على العبيد"**، لمؤلفه الأخ / **زهير رزق الله** والذي قصد من تأليفه تيسير التوحيد وتعليمه للشباب المسلم، فوجدته نافعا سلك فيه المؤلف الاختصار غير المخل الذي يحتاجه المسلم لتعلم العقيدة الصحيحة مؤيدا ذلك بما دلت عليه آيات القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة فأنصح بقراءته وتعلّمه وتعليمه.

أسال الله أن ينفع به ويجعله في ميزان حسناته.

كتبه / د. سعد بن تراحيب العتيبي

يوم الأحد 13 رجب 1446 الموافق لـ 12 جانفي 2025

المقدمة

إنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ. أما بعدُ:

فإنَّ أصدقَ الحديثِ كتابُ اللهِ، وإنَّ أفضلَ الهديِ هديُ محمدٍ ﷺ، وشرَّ الأمورِ مُحدثاتُها وكلَّ مُحدَثةٍ بدعةٌ وكلَّ بدعةٍ ضلالةٌ، وكلَّ ضلالةٍ في النَّارِ.

لقد خلقنا الله سبحانه وتعالى لنعبده وحده، ولا نشرك به شيئا، وأرسل لنا رسله، وأنزل علينا كتبه، لبيان هذه الغاية العظمى، قال عز وجل **﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلا لِيَعْبُدُونِ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيد أَنْ يُطْعِمُونِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾**[1] فمن عبد الله، وترك عبادة ما سواه، وأطاع رسله، واتبع دينه، فاز في الدنيا والآخرة، **﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾**[2].

ولقد ظلت العقيدة دوما، عنوان عزة الأمة، وصمام أمان الإسلام، غير أننا في زمن صار تعلم التوحيد فيه فضولا، لا يهم عامة المسلمين، ولا

1- سورة الذاريات، الآيتان: 56 و58.

2- سورة النساء، الآية: 13.

يعتني به إلا المتخصصين من طلبة العلم، وانتشرت بين المسلمين كثير من الأفكار والعقائد المنحرفة، والتيارات الدخيلة. ولقد هالني كثيرا، ما وصل إليه حال بعض المسلمين في هذا الزمن، من الجهل بأبسط قواعد الإسلام، فقد أعرض كثير منهم عن الدين، وأداروا له ظهورهم، وانشغلوا عنه بالدنيا، فهم لا يعرفون منه شيئا، ولا يعنيهم التفقه في أحكامه، ولا التدبر في شريعته، وفريق قد أضلتهم التيارات المنحرفة والجماعات المعادية للإسلام، حتى صاروا يعتقدون أن تعلم الدين والاعتناء به من علامات التطرف والانغلاق. وفريق آخر قد ابتعدوا عن التوحيد وعن العقيدة الصحيحة، فصرفوا أنواعا من العبادة لغير الله، فمنهم من لجئوا إلى أضرحة الأولياء والصالحين، يدعونهم ويستغيثون بهم، لقضاء حاجاتهم، وكشف كرباتهم، وآخرون غوتهم الشياطين، فهرعوا للسحرة والكهنة والمشعوذين يسألونهم تغيير حياتهم، وحل مشكلاتهم، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

فعزمت على إعداد شرح مختصر مبسط للتوحيد، يكون في متناول الجميع، فبدأت بتوفيق من الله هذا الشرح، وقد جمعته من القرآن والسنة، ومن كتب علماء الأمة الربانيين، وراعيت فيه السهولة واليسر، وابتعدت عن المسائل الخلافية، واعتنيت بالتعاريف، لتسهيل فهم المصطلحات، واجتهدت في ذكر الأدلة والشواهد، وقد جعلته في ثلاثة أبواب:

الباب الأول: بينت فيه قواعد التوحيد ومبادئه وأقسامه وأحكامه، وفضائله، وذكرت فيه أركان الإسلام، والإيمان.

والباب الثاني: جعلته لما يضادّ الإيمان وهو الشرك فبينت أحكامه، وصوره وأنواعه، وذكرت خطورته ومضارّه.

أما **الباب الثالث:** فجعلته للأفعال والأمور التي تعد من الشرك، أو تؤدي إليه، قصد معرفتها، لتجنبها، فيوشك الذي لا يعرفها، أن يسقط فيها فيهلك.

فاعلم يا مؤمن، يرحمك الله، أنه عليك أن تتفقه في دينك، وأن تتعلم ما خلقت لأجله، فالتوحيد والبراءة من الشرك، أول وأهم ما يجب أن تتعلمه وتعتني به، لأن الجهل به قد يوقع العبد في الشرك أو الكفر بالله وهو لا يدري، كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه «**إِنَّمَا تُنْقَضُ عُرَى الْإِسْلَامِ عُرْوَةً عُرْوَةً إِذَا نَشَأَ فِي الْإِسْلَامِ مَنْ لَمْ يَعْرِفْ الْجَاهِلِيَّةَ**»[3] فإذا خالط الشرك العبادة أفسدها، وأحبط العمل كله، وصار صاحبه من أهل النار.

هذا ما وفقني الله إليه، فان أصبت فمنه وحده سبحانه، وإن أخطأت، أو قصرت، فمن نفسي والشيطان.

الله أسال أن ينفع به، ويجعله في ميزان حسناتي ذخرا لي يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، والصلاة والسلام على رسول الله.

أبو عبد الرحمان زهير رزق الله
يوم الخميس 18 جمادي الثاني 1446
الموافق 19 ديسمبر 2024

3- رواه الحاكم في المستدرك (475/4)، والبيهقي في الشعب (69/6)، وأبو نعيم في الحلية (7/243)



الفصل الأول

التوحيد





تعريف التوحيد

لغة: مصدر للفعل وحَّد، يوحِّد، توحيدا، فهو موحِّد إذا نسب إلى الله الوحدانية، بأنه لا نظير له، ووصفه بالانفراد عما يشاركه أو يشابهه، في ذاته أو صفاته، قال الزجاجي: «الواحد على ضروب: الواحد: الفرد الذي لا ثاني له من العدد... فالله عز وجل الواحد الأول الأحد الذي لا ثاني له ولا شريك ولا مثيل ولا نظير...»[4] وقال الأزهري: «الواحد: الذي لا نظير له، يقال: فلان واحد العالم أي: لا نظير له في العالم. وحقيقة الواحد هو: المنفرد الذي لا نظير له ولا شريك»[5].

اصطلاحًا: إفراد الله تعالى بما يختص به من الألوهية، والربوبية، والأسماء والصفات.

التوحيد في القرآن الكريم

ورد مصطلح التوحيد في القرآن الكريم، بصيغ كثيرة ومتعددة، منها قوله تعالى:

﴿**قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ**﴾[6].

﴿**فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ**﴾[7].

﴿**وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لا إِلَهَ إِلا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ**﴾[8].

4- اشتقاق أسماء الله، الزجاجي (ص 90 وما بعدها)

5- تفسير القرآن، أبو مظفر السمعاني (ج 1ص161)

6- سورة الإخلاص، الآية: 1.

7- سورة الفجر، الآية: 25.

8- سورة البقرة، الآية: 163.



التوحيد في السنة النبوية

جاءت كلمة التوحيد ومشتقاتها في السنة النبوية في أحاديث كثيرة منها قوله ﷺ: «**بُنِيَ الإِسْلامُ عَلَى خَمْسَةٍ: عَلَى أَنْ يُوَحَّدَ اللَّهُ، وَإِقَامِ الصَّلاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَصِيَامِ رَمَضَانَ، وَالْحَجِّ**»[9].

حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: «لَمَّا بَعَثَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ إِلَى نَحْوِ أَهل الْيَمَنِ قَالَ لَهُ: «**إِنَّكَ تَقْدَمُ عَلَى قَوْمٍ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَى أَنْ يُوَحِّدُوا اللَّهَ تَعَالَى فَإِذَا عَرَفُوا ذَلِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي يوْمِهِمْ وَلَيْلَتِهِمْ فَإِذَا صَلَّوْا فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ زَكَاةً فِي أَمْوَالِهِمْ تُؤْخَذُ مِنْ غَنِيِّهِمْ فَتُرَدُّ عَلَى فَقِيرِهِمْ فَإِذَا أَقَرُّوا بِذَلِكَ فَخُذْ مِنْهُمْ وَتَوَقَّ كَرَائِمَ أَمْوَالِ النَّاس**»[10].

أقسام التوحيد

قسم العلماء التوحيد إلى ثلاثة أقسام: توحيدُ الربوبية، وتوحيدُ الألوهية، وتوحيدُ الأسماءِ والصفاتِ.

9- رواه مسلم في صحيحه (16) من حديث عبد الله ابن عمر رضي الله عنهما

10- رواه البخاري (7372)، ومسلم (19).



القسمُ الأول:
توحيدُ الربوبية

تعريف توحيدُ الربوبية

لغة: الربوبية مأخوذ من معنى الربِّ أي السيّد، والمالك، والمربي.

اصطلاحًا: توحيد الربوبيّة هو الإقرار بأنَّ الله سبحانه هو ربّ كل شيءٍ ومليكه. قال تعالى: ﴿**ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ**﴾[11].

فنؤمن أنه سبحانه هو الخالق والمالك والمدبر؛ فالخلق كلهم عبيده فلا خالقَ إلَّا الله، والكون بكل ما فيه ملكه، فلا مالك سواه، ولا مدبِّر للكون، ولكل ما يحدث فيه إلَّاه، قال سبحانه: ﴿**اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ**﴾[12]. ونؤمن بأنه سبحانه فوقَ عرشه، يسيّر كلما يحدث في كونه وفق إرادته، ويُدبِّرُ أمر عبادِه وحدَه، فلا خالق ولا رازقَ لهم غيره، ولا معطيَ ولا مانع ولا محيي ولا مميت سواه، فما شاءَ كانَ، وما لم يشأْ لم يكن. فلا يجري حادثٌ في الكون إلا بإذنه وبمشيئته، ولا تسقطُ ورقةٌ إلَّا بعلمِهِ. يرى أعمالنا ويسمع كلامنا، ولا يخفى عليه شيء من أمرنا، ﴿**لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَلَا**

11- سورة الأَنْعَام، الآية: 102

12- سورة الأَنْعَام، الآية: 102



فِي ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾[13] قد أحاط بكل شيء عِلْما، وأحصى كل شيء عددا، ونفذت به مشيئتُه.

هل يكفي توحيدُ الربوبية وحده؟

سؤال: أن نؤمن بتوحيد الربوبية، ونعتقد أن الله ربنا هو الخالق المالك المدبر وحده لَا شريك له، هل ينجينا ذلك من النار؟

الجواب: لا، توحيد الربوبية وحده لا يكفي، والدليل أن هذا التوحيدِ لم يُعارِض فيه المشركون الذين بُعِثَ فيهم رسولُ الله ﷺ، قال الله تعالى عنهم: ﴿**وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ**﴾[14] كانوا مقرِّينَ بِأَنَّ اللهَ تَعَالَى هُوُ الْخَالِقُ، المالك، الْمُدَبِّرُ، ومع ذلك لم ينفعْهُم إقرارُهم، ولَم يكفهم ذلك للدخول في الإِسْلامِ، لأَنَّهم اتخذوا من دونِ الله آلهةً أخرى؛ قال تعالى:﴿**وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ**﴾[15] فلا يدخل المرء في الإسلام ولا يصير موحدا بمجرد إيمانه واعترافه بتوحيد الربوبية، حتى يؤمن ويقر بتوحيد الألوهية وعبادة الله وحده، فالعبادة إذا لم تكن خالصة لله فإنها لا تنفع صاحبها، والدليل قولُه تعالى: ﴿**وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلا وَهُمْ مُشْرِكُونَ**﴾[16] فقد فسرها ابن عباس رضي الله عنهما وغيره أن الإيمان المذكور في الآية هو الإيمان بربوبية الله أي توحيد الربوبية. فهم يؤمنون بأن الله هو الخالق الرازق ومع ذلك يشركون، معه غيره في العبادة، «فأبو جهل وأشباهه يؤمنون بأن الله خالقهم ورازقهم وخالق السماوات والأرض، ولكن لم ينفعهم هذا

13- سورة سبأ، الآية: 3

14- سورة الزمر، الآية: 38

15- سورة يونس، الآية: 18

16- سورة يوسف، الآية: 106

الإيمان لأنهم أشركوا بعبادة الأصنام والأوثان هذا هو معنى الآية عند أهل العلم»[17].

17- مجموع فتاوى ومقالات، الشيخ ابن باز (8/292).

القسمُ الثاني:
توحيدُ الألوهية

تعريف توحيدُ الألوهية

لغة: الألوهية من إله، والإله، الله تعالى، وسمي بذلك؛ لأنه مألوه أي معبود، يقال: تأله الرجل: إذا تعبّد.

اصطلاحًا: توحيدُ الأُلوهيَّةِ هو: إفرادُ اللهِ سبحانه بالعِبادةِ، بكل أنواعِها.

توحيد الألوهية يقوم على النفي والإثبات

التوحيد يقوم على ركنين أساسيين وهما النفي والإثبات إثبات ما يجب لله تعالى من الإيمان به، وعبادته سبحانه وحده، ونفي العبادة واعتقاد بطلانها عن غيره، والدليل قوله تعالى: ﴿**ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ**﴾[18].

فيجب أن نفرِد الله تعالى بجميعِ أنواعِ العبادةِ، فلا نعبد غيرهُ، ولا ندعو في السراء والضراء إلا إياه، ولا نستغيث ولا نستعين إلا به، ولا ننذرُ ولا نذبحُ ولا ننحر إلا له، وكذا سائر العبادات. قال تعالى: ﴿**قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾[19] فمن عبد الله وَعَبَد معه غيره فقد أشرك، ومن دعا غير الله أو استعان أو استغاث

18- سورة الحج، الآية: 62

19- سورة الأنعام، الآية: 162

بنبي أو ولي، أو ملك أو جن، أو بشر أو حجر أو شجر، فقد وقع في أعظم ذنب، وأكبر كبيرة، قال الله تعالى: ﴿**إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ**﴾[20] وقال ﷺ: «مَن لَقِي الله لا يشركُ به شيئًا دخلَ الجنَّة، ومَن لقي اللَّهَ يُشركُ به شيئًا دخلَ النار»[21].

20- سورة المائدة، الآية: 72

21- رواه مسلم (93) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه



شهادة لا إله إلا الله

- تجلب السعادة في الدنيا والآخرة

ومن هنا يتبين لنا أهمية شهادة التوحيد: لا إله إلا الله، فهي تعني اليقين والجزم بعدم وجود معبود ولا خالق إلا الله عز وجل، وتعني إثبات العبادة له وحده، ونفيها عن غيره.

لا إله إلا الله: هي كلمة التوحيد والإيمان، أرسل الله بها رسله وأنزل بها كتبه، من قالها مخلصا، نجا مِن النّار، وأدخل الجنة، قال رسول الله ﷺ: «إني لأعلم كلمة لا يقولها عبد حقًا من قلبه فيموت على ذلك إلا حرّمه الله على النار لا إله إلّا الله»[22].

لا إله إلا الله: لها أثرٌ عظيم في حياة المسلم، وفِي سلوكه، وتمسك الأمة بها وبمقتضياتها هو سبيل عزتها ورفعتها، قال الحافظ بن أحمد الحكمي رحمه الله: «هي سبيل السعادة في الدارين، أي طريقهما لا وصول إليهما إلا بهذه الكلمة، فهي الكلمة التي أرسل الله بها رسله وأنزل بها كتبه، ولأجلها خلقت الدنيا والآخرة، والجنة والنار، وفي شأنها تكون الشقاوة والسعادة، وبها تأخذ الكتب باليمين أو الشمال، ويثقل الميزان أو يخف، وبها النجاة من النار بعد الورود... وهي أعظم نعمة أنعم الله عز وجل بها على عباده أن هداهم إليها، ولهذا ذكرها في سورة النحل...

22- رواه ابن حبان (204)، والألباني في صحيح الترغيب (1528) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه



فقال تعالى: ﴿**يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓا۟ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ**﴾[23]»[24].

- لا إله إلا الله: نفي وإثبات

كلمة التوحيد لا إله إلا الله جمعت بين أمرين: نفي وإثبات. الأول: نفي العبادة عما سوى الله؛ لا إله: معبود بحق في الوجود. الثاني: إثبات العبادة لله وحده؛ إلا الله: إفراد الله بكل أنواع العبادة دون سواه.

معنى لا إله إلا الله: لا معبود بحق إلا الله.

فلا يكفي أن تنطق بلا إله إلا الله للنجاة من النار في الآخرة دون أي عمل، بل يجب أن تحقق لوازمها وشروطها من العمل الصالح، كالصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، وتجنب المحرمات، ولا بد من ترك كلما يناقضها من كفر وشرك ونفاق.

- نجى الله بها يونس عليه السلام من بطن الحوت

حكى الله لنا في القرآن الكريم قصص الأنبياء، لنقتدي بهم ونتعلم منهم، منها قصة يونس عليه السلام، لما ابتلعه الحوت، فبين لنا القرآن الدعوة التي كانت سبب نجاته، وتفريج كربه، قال تعالى: ﴿**لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ**﴾[25] فهي كلمة تتضمن إقرار العبد بتوحيده لله عز وجل، واعترافه بأنه ظالم لنفسه بالذنوب والمعاصي، وفيها رجوع وتوبة إلى الله عز وجل. قال رسول الله ﷺ: «دعوةُ ذي النُّونِ؛ إذ دعا بها في بَطنِ الحوتِ: لا إلهَ إلَّا أنتَ سُبْحانَكَ،

23- سورة النحل، الآية: 2

24- معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول، للحافظ بن أحمد الحكمي (ج2 ص 411)

25- سورة الأنبياء، الآية: 87



إنِّي كنتُ مِن الظالمينَ، فإنَّه لن يَدعُوَ بها مسلمٌ في شيءٍ إلَّا استجابَ له»[26].

دَعوَةُ ذي النُّونِ: أي صاحِبِ الحوت، وهو نبيّ الله يونس عليه السلام.

هذه الدعوة يدعو بها المؤمن، كلما وقع في كرب، فيَستجيب الله سبحانه وتعالى له بها، كما نجَّت يونس عليه السَّلام لمَا ابتلعه الحوت، قيل: يفتتح بها الدّعاء ثمَّ يدعو بما يشاء.

- قصة الرجل الذي له تسعة وتسعون سجِلًّا من المعاصي

أخبرنا النبي ﷺ عن رجل يأتي يوم القيامة معه تسعة وتسعون سجِلًّا من الذنوب والمعاصي، كل سجل منها مدُّ البصر، لكنه كان موحِّدًا بالله عز وجل، ولم يقع في الشرك، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ سَيُخَلِّصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُؤوسِ الخَلَائِقِ يَوْمَ القِيَامَةِ فَيَنْشُرُ عَلَيْهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ سِجِلًّا كُلُّ سِجِلٍّ مِثْلُ مَدِّ البَصَرِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَتُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا؟ أَظَلَمَكَ كَتَبَتِي الحَافِظُونَ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: أَفَلَكَ عُذْرٌ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: بَلَى إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً، فَإِنَّهُ لَا ظُلْمَ عَلَيْكَ اليَوْمَ، فَتَخْرُجُ بِطَاقَةٌ فِيهَا: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولُ: احْضُرْ وَزْنَكَ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ مَا هَذِهِ البِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السِّجِلَّاتِ، فَقَالَ: إِنَّكَ لَا تُظْلَمُ، قَالَ: فَتُوضَعُ السِّجِلَّاتُ فِي كَفَّةٍ وَالبِطَاقَةُ فِي كَفَّةٍ، فَطَاشَتِ السِّجِلَّاتُ وَثَقُلَتِ البِطَاقَةُ، فَلَا يَثْقُلُ مَعَ اسْمِ اللَّهِ شَيْءٌ»[27] فشهادة لا إله إلا الله تنفعه، يوم القيامة، فيغفر الله له كل ذنوبه ومعاصيه، ويدخله الجنة.

26- رواه الترمذي: (3427)، والحاكم (1862)، والألباني في صحيح الجامع (5695) من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه

27- رواه ابن ماجه (4300)، والترمذي (2639)، وأحمد (6994) من حديث عَبْد اللَّهِ بْن عَمْرِو بْنِ العَاصِ رضي الله عنهما

شروط لا إله إلا الله

قال رسول الله ﷺ: «ما مِن عَبْدٍ قالَ لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ، ثُمَّ مَاتَ علَى ذلكَ إلَّا دَخَلَ الجَنَّةَ»[28] لكن هذا السبب لدخول الجنة لا يعمل عمله إلا باجتماع شروط وانتفاء موانع، كما قال علماء الإسلام: «قيل للحسن البصري رحمه الله: إنَّ ناسًا يقولون: مَن قال لا إله إلا الله دخل الجنة فقال: مَن قالَها، وأدَّى حقَّها وفرْضَها، دخل الجنة، «قِيلَ لِوَهْبِ بْنِ مُنَبِّهٍ أَلَيْسَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مِفْتَاحُ الْجَنَّةِ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لَيْسَ مِفْتَاحٌ إِلَّا لَهُ أَسْنَانٌ فَإِنْ جِئْتَ بِمِفْتَاحٍ لَهُ أَسْنَانٌ فُتِحَ لَكَ وَإِلَّا لَمْ يُفْتَحْ لَكَ»[29].

قال حافظ الحكمي رحمه الله تعالى، في منظومته، سلم الوصول، عن شروط لا إله إلا الله:

وَبِشُرُوطٍ سَبْعَةٍ قَدْ قُيِّـــدَتْ *** وَفِي نُصُوصِ الْوَحْيِ حَقًّا وَرَدَتْ

العلم واليقين والقبــــول *** والانقياد فادر ما أقـــــول

والصدق والإخلاص والمحبة *** وفقك الله لما أحبـــــه[30]

شروط لا إله إلا الله سبعة: العلم، واليقين، والقبول، والانقياد، والصدق، والإخلاص، والمحبة.

الشرط الأول: العلم

العلم بمعناها المراد منها نفيا وإثباتا، المنافي للجهل بذلك، لقول الله تعالى: ﴿**فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ**﴾[31] وقوله تعالى: ﴿**إِلَّا مَن شَهِدَ**

28- جزء من حديث رواه البخاري (5827)، ومسلم (94) من حديث أبي ذر الغفاري رضي الله عنه

29- رواه البخاري في صحيحه تعليقا (1237)، ووصله في التاريخ الكبير (261)

30- معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول، للحافظ بن أحمد الحكمي (ج 2 ص118-119)

31- سورة محمد، الآية: 19



بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[32] إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ أي: بلا إله إلا الله، ولحديث رسول الله ﷺ: «مَن ماتَ وهو يَعْلَمُ أنَّه لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ، دَخَلَ الجَنَّةَ»[33].

الشرط الثاني: اليقين

بأن تقولها وأنت مستيقن بها يقينًا جازمًا، لا تردّد ولا شك فيه، أنَّ الله هو المستحق وحده لكل أنواع العبادة من صلاةٍ، وصيامٍ، وخوفٍ، وتوكلٍ، ورجاءٍ، وغيرها. ونفي هذا الإيمان وهذه الألوهية عن غيره، لقول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا﴾[34] ولقول رسول الله ﷺ: «أشهَدُ أنْ لا إلهَ إلَّا اللهُ، وأنِّي رسولُ اللهِ، لا يلْقَى اللهَ بِهِما عبدٌ غيرُ شاكٍّ فِيهِما إلَّا دخَلَ الجنةَ»[35].

الشرط الثالث: القبول

بأن تقبل كل ما جاء من عند الله رب العالمين، وكل ما أتى به النبي ﷺ من الدين، وأن تعبد الله عز وجل وحده، ولا تستكبر أو تعاند في ذلك، ولا تشك في دينه وشرعه، ولا ترد منه شيئًا، لقوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ﴾[36].

الشرط الرابع: الانقياد

أن تنقاد لدين الله وشرعه، وتذعن له، وترضى بأمره وحكمه في كل أمور دينك ودنياك، قال الله عز وجل: ﴿وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ

32- سورة الزخرف، الآية: 86

33- رواه مسلم في صحيحه (29) من حديث عثمان بن عفان رضي الله عنه

34- سورة الحجرات، الآية: 15

35- رواه مسلم (27) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه

36- سورة الصافات، الآيتين: 35 و36



مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾[37] أي: بلا إله إلا الله، ويُسلم وجهه أي: ينقاد، وهو محسن: موحد.

الشرط الخامس: الصدق

أن تقولها صادقا من قلبك، صادقا في إيمانك بالله، وبشرعه، لا كاذبا، ولا شاكا مرتابا، قال سبحانه عن المنافقين، الذين قالوها كذبًا: **﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾**[38] وقال رسول الله ﷺ: «ما مِن أحَدٍ يَشْهَدُ أنْ لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ وأنَّ مُحَمَّدًا رَسولُ اللَّهِ، صِدْقًا مِن قَلْبِهِ، إلَّا حَرَّمَهُ اللَّهُ علَى النَّارِ»[39].

الشرط السادس: الإخلاص

بأن تنطق الشهادة مخلصا لا تريد بها إلا وجه الله، وأن تقصد بكل أعمالك رضى الله سبحانه، ليس فيها شرك أو رياء، بأن تعبد الله، وتدعو الله، وتحلف بالله، وتنذر لله، وتخاف الله، وترجو رحمة الله لقوله سبحانه تعالى: **﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ﴾**[40] وقوله ﷺ: «أسْعَدُ النَّاسِ بشَفَاعَتي يَومَ القِيَامَةِ، مَن قالَ لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ، خَالِصًا مِن قَلْبِهِ، أوْ نَفْسِهِ»[41].

الشرط السابع: المحبة

بمحبة الله سبحانه ورسوله صلى الله عليه وسلم، ودينه، ومحبة لا إله إلا الله، وكل ما دلت عليه واقتضته، ومحبة أهلها المؤمنين،

37- سورة لقمان، الآية: 22

38- سورة البقرة، الآيات: 8-10

39- جزء من حديث رواه البخاري (128) من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه

40- سورة البينة، الآية: 5

41- جزء من حديث رواه البخاري (99) من حديث أبي هريرةَ رضي الله عنه



الملتزمين بها وبشروطها، وبغض كل ما ناقضها، قال الله تعالى: ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ**﴾[42] ولقوله صلى الله عليه وسلم: «لا يُؤْمِنُ أحدُكم حتى أكونَ أحبَّ إليه من ولدِهِ، ووالدِهِ، والناسِ أجمعينَ»[43].

42- سورة البقرة، الآية: 165

43- رواه البخاري (15) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه



شهادة أن محمدا رسول الله ﷺ

الإيمان به ﷺ

نبينا هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، الإيمان بنبوته ﷺ، من الإيمان بالرسل فهو خاتمهم، فلا نبي بعده، وقد أرسله الله عز وجل إلى الناس كافة، وهو صاحب الشفاعة العظمى، وصاحب الحوض، وأول من تفتح له أبوب الجنة، قال الله تعالى: ﴿**مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ**﴾[44].

النطق بالشهادة

لا يدخل الإنسان في الإسلام، إلا بالإيمان بنبوة محمد ﷺ، والاعتقاد الجازم بها بقلبه، والنطق بالشهادتين بلسانه: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، قال الله تعالى: ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ**﴾[45].

لوازم شهادة أن محمدا رسول الله

- توقيره، واحترامه ﷺ، قال الله تعالى: ﴿**لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ**﴾[46] وتصديقه في كل ما أخبر به، فكل ما جاء به من

---

44 - سورة الأحزاب، الآية: 40

45- سورة النور، الآية: 62

46- سورة الفتح، الآية: 9

الدين هو مما أوحاه الله إليه، قال تعالى: ﴿**وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى**﴾[47].

- طاعته ﷺ في كل ما أمر به، واجتناب كل ما نهى عنه وزجر، قال الله تعالى: ﴿**وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا**﴾[48].

- ألا نعبد الله عز وجل إلا بما جاء به ﷺ من شريعة ودين، وأن نحتذيه، ونتخذه أسوة وقدوة، قال ﷺ: «كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَى، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَنْ يَأْبَى؟ قَالَ: مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى»[49].

- محبته ﷺ أكثر من محبة الناس أجمعين، قال ﷺ: «لا يُؤْمِنُ أحدُكم حتى أكونَ أحبَّ إليه من ولدِهِ، ووالدِهِ، والناسِ أجمعينَ»[50].

- أن نكثر من الصلاة عليه، بقدر استطاعتنا، وأن نقول كلما ذكر اسمه، صلى الله عليه وسلم، قال تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا**﴾[51] وقال ﷺ: «البخيلُ الذي من ذُكِرْتُ عندَه فلم يُصَلِّ عليَّ»[52].

47- سورة النجم، الآيتين: 3 و4

48- سورة الحشر، الآية: 7

49- رواه البخاري (7280) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه

50- رواه البخاري (15)، ومسلم (44) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه

51- سورة الأحزاب، الآية: 56

52- رواه الترمذي (3546)، وأحمد (1736)، والألباني في صحيح الترمذي (3546) من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه

القسم الثالث:
توحيدُ الأسماءِ والصفاتِ

تعريف توحيدُ الأسماءِ والصفاتِ

لغةً: جمع اسم، وهو ما يعرف به الشيء، ويستدل به عليه، ويكون غير مقترن بزمن.

اصطلاحًا: أسماء الله هي الأسماء الجامعة لصفات الله عز وجل، وهي الذي تسمَّى بها الله تعالى، في كتابه، أو على لسان أحد من رُسُله، أو في علم الغيب عنده، ولا يُشبهه ولا يماثله فيها أحد وسميت الأسماء الحسنى؛ لدلالتها على صفات الله العظمى وما تحمله من المَعاني السامية الجليلة والكمال الذي لا يشوبه نَقصٌ، قال تعالى: ﴿**وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾[53].

حديث إن لله تِسْعَةً وتِسْعِينَ اسْمًا

أسماء الله تعالى كلها حسنى، وهي توقيفية يجب الوقوف فيها على ما جاء في الكتاب والسنة، لا يزاد فيها ولا ينقص، قال رسول الله ﷺ: «إن للّه تِسْعَةً، وتِسْعِينَ، اسْمًا، مِائَةً إلا واحدا مَنْ أَحْصَاهَا دخل

53- سورة الأعراف، الآية: 180

الجنة»[54] مَن أحْصاها دخَل الجنَّةَ: أي من عرفها وحفظها، وآمن بها، وعمل بمدلولها، وتدبر معانيها، دخل الجنة.
ولكن هذا الحديث لا يدل على حصر أسماء الله بتسعة وتسعين، فهي غير محصورة بعدد معين، لقوله ﷺ في دعاء رفع الهم والحزن: «أسألُك بكلِّ اسمٍ هو لك سميتَ به نفسَك، أو علَّمتَه أحدًا من خلقِك أو أنزلتَه في كتابِك، أو استأثرتَ به في علمِ الغيبِ عندَك»[55] قال الشيخ العثيمين رحمه الله تعالى: «وما استأثرتَ الله تعالى به في علم الغيب، لا يمكن أحدا حصره، ولا الإحاطة به»[56].

معنى توحيد الأسماء والصفات

هو الاعتقاد الجازم بانفراد الله سبحانه وتعالى بالكمال المطلق في جميع وجوه العظمة والجمال والكمال بأن يُوصَفَ اللهُ عز وجل بما وَصَف به نَفْسَه، وبما وصَفَه به نبيُّه ﷺ نفيًا وإثباتًا، فنثبت له ما أثبَتَه لنَفْسِه، وننفي عنه ما نفاه عن نَفْسِه، من غير تحريف أو تبديل، لمعانيها وأحكامها. فنؤمن بما جاء في القرآن الكريم وفي الأحاديث النبوية الصحيحة من الأسماء الحسنى، والصفات العُلى وننزه الله عن كل ما لا يليق به سبحانه كتنزيهه عن الصاحبة والولد والسِّنة والنوم وما شابه ذلك؛ فنؤمن بأن الله جلَّ وعلا، واحد أحد، فرد صمد، فهو المجيب للدُّعاء، وهو الغني الحميد، والعليم الحكيم، والسميع البصير والغفور الرحيم، والجبار العظيم، وهو العلي فوق جميع خلقه، والقادر على كل شيءٍ، الكامل في قدرته، وعظمته، لا نظير ولا مثيل له، ولا شبيه له في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله، ولا يشبه شيء مِنْ

54- رواه البخاري (2736)، ومسلم (2677) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه
55- رواه أحمد (3712)، وابن حبان (972)، والطبراني (10352)، والألباني في الصحيحة (199) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه
56- القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى، الشيخ العثيمين (ص 17)

مخلوقاته ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[57] وننزهه عن كل ما لا يليق به سبحانه كتنزيهه عن الصاحبة والولد والسِّنة والنوم وما شابه ذلك.

قوادح توحيد الأسماء والصفات

ومما يقدح في توحيد الأسماء والصفات، ويفسده، تحريف أو تبديل معانيها، أو أحكامها، بما لا يليق بعظمة الله عَز وجل، قال الشيخ بن العثيمين رحمه الله تعالى: «السَّلَفُ الصَّالحُ مِن صَدْرِ هذه الأُمَّةِ، وهم الصَّحابةُ الذين هم خيرُ القُرونِ، والتَّابعون لهم بإحسانٍ، وأئمَّةُ الهُدى مِن بَعْدِهم: كانوا مجمِعينَ على إثباتِ ما أثبَتَه اللهُ لنَفْسِه، أو أثبَتَه له رَسولُه صلَّى اللهُ عليه وسلَّم من الأسماءِ والصِّفاتِ، وإجراءِ النُّصوصِ على ظاهِرِها اللَّائِقِ باللهِ تعالى، من غير تحريفٍ، ولا تعطيلٍ، ولا تكييفٍ، ولا تمثيلٍ، وهم خيرُ القُرونِ بنَصِّ الرَّسولِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، وإجماعُهم حُجَّةٌ مُلزِمةٌ؛ لأنَّه مُقتَضى الكِتابِ والسُّنَّةِ»[58].

يفسد التوحيد: التحريف، والتعطيل، والتكييف، والتمثيل

التحريف: معناه تغيير ألفاظ الأسماء والصفات، أو تغيير معانيها بصرفها عن مراد الله عز وجل بها وعن المعنى المتبادر منها.

مثال التحريف: من الصفات التي أثبتها الله عز وجل لنفسه، في القرآن والسنة، اليد، والاستواء والضحك، حرفوا اليد: قالوا اليد تعني القوة أو النعمة، وحرفوا الاستواء: قالوا الاستواء معناه الاستيلاء، وحرفوا الضحك: قالوا الضحك معناه الثواب.

التعطيل: هو نفي أسماء الله وصفاته أو بعضها..

مثال التعطيل: كمن نفى قدرة الله، أو بصره، أو استواءه، أو نزوله، أو علمه، أو كلامه.

57- سورة الشورى، الآية: 11

58- القواعد المثلى في صفات الله، الشيخ العثيمين (ص 79)

التكييف: هو تحديد كيفية وكنه الصفة، مما تتخيله عقولهم.
مثال التكييف: كأن يقول كيفية استواء الله على العرش كذا وكذا، أو كيفية النزول كذا وكذا، أو كيفية اليد كذا؛ فلا أحد من الخلق يدرك أو حتى يتخيل كيفية صفات الله، فهي ليست كصفات أي خلق من مخلوقاته ولا تشبهها أبدا. كما بين ذلك الإمام مالك رحمه الله وغيره من السلف عندما سُئلوا عن قوله تعالى: ﴿**الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى**﴾[59] قالوا: «الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة»[60].
التمثيل: معناه اعتقاد مماثلة أي شيء من صفات الله تعالى، لصفات المخلوقات. كاعتقاد أنها مثل صفات المخلوقين.
مثال التمثيل: كأن يقول يد الله مثل يد كذا، أو يدعي أن الله يتكلم ككلام البشر، أو يبصر كما يبصرون.
من قوادح الأسماء والصفات ونواقض الإسلام: ألا ينزه الله عز وجل عما لا يليق به سبحانه، كأن يدعي لله صفة نفاها سبحانه عن نفسه، أو نفاها عنه رسوله ﷺ، كأن يدعي لله الصاحبة أو الولد أو البنات، أو يدعي لله النوم أو الموت أو الغفلة، وكل هذه النواقص لا تجوز في حق الله تعالى.
أقسام التوحيد الثلاثة متلازمة: أقسام التوحيد متلازمة لا يصح إسلام عبد إلا إذا أتى بها مجتمعة، فإن ضيع قسما منها ضيعها كلها، فمن أقر بتوحيد الربوبية: بأن الله سبحانه هو الخالق المالك المدبر، وآمن بأسماء الله وصفاته، ولكنه لم يحقق توحيد الألوهية: بعبادة الله وحده، بل عبد معه غيره من الأنبياء أو الأولياء أو القبور والأضرحة أو

59- سورة طه، الآية: 5

60- انظر: الاعتقاد، البيهقي (ص 56)، ودفع شبه التشبيه، ابن الجوزي (ص 122)، والذخيرة، القرافي (ص 242).

غيرها فقد أشرك، ومن أقر بتوحيد الربوبية والألوهية، لكنه أنكر أسماء الله عز وجل وصفاته الثابتة في القرآن والسنة ولَم يُؤْمِن بها فقد خرج من الإسلام.

مراتب الدين

مراتب الدين ثلاثة: الإسلام، والإيمان، والإحسان، كما بيَّنها لنا النبي ﷺ في حديث جبريل عليه السلام، يوم جاء يعلم المسلمين أصول دينهم، وقواعده وأركانه، قالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَخْبِرنِي عَنِ الْإِسْلَامِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الْإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا»، قَالَ: صَدَقْتَ، فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ... قَالَ: «يَا عُمَرُ أَتَدْرِي مَنِ السَّائِلُ؟» قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «فإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ أَمْرَ دِينِكُمْ»[61].

المرتبة الأولى: الإسلام

الإسلام هو الخضوع لله تعالى، والاستسلام والانقياد له بالطاعة، وهو يخص عمل الجوارح.

أركان الإسلام خمسة: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت، وكل عمل مما شرعه الله داخل في الإسلام:

1- **الشهادة:** أن تشهد وتنطق بلسانك: أنْ لا إله إلا الله، وأنّ محمّدًا رسول الله، وتقرها بقلبك، فتخلص لله تعالى، بتوحيده وعبادته

61 - رواه البخاري (50)، ومسلم (9) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه



وطاعته، وبالإقرار لرسول الله ﷺ والتصديق بأنّه خاتم الأنبياء والمرسلين، ومتابعته، وتقديم محبة الله ومحبّته على كل شيء. قال الله تعالى: ﴿**مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا**﴾[62].

2- **إقام الصلاة:** فهي عمود الدِّين، وأساس الإسلام، وأساس النجاح والفلاح، وأوّل ما يُحاسب عليه العبد يوم القيامة، قال تعالى: ﴿**حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلاةِ الْوُسْطَى**﴾[63].

3- **إيتاء الزكاة:** وهي فرضٌ على مَن وجبت عليه من أغنياء المسلمين، يدفعونها من أموالهم وممتلكاتهم سنويًا، للفقراء والمساكين والمستحقين، وهي تزكيةٌ للنَّفس، ونماء للمال، وقد توعّد تارك الزّكاة بالعذاب والهلاك في الآخرة، قال تعالى: ﴿**خُذ مِن أَموالِهِم صَدَقَةً تُطَهِّرُهُم وَتُزَكّيهِم بِها وَصَلِّ عَلَيهِم إِنَّ صَلاتَكَ سَكَنٌ لَهُم وَاللَّهُ سَميعٌ عَليمٌ**﴾[64].

4- **صيام شهر رمضان:** وهو فرض واجب على المسلمين كل عام، بالإمساك عن المفطرات من طلوع الفجر حتى غروب الشمس، ورمضان هو شهر الصيام والقرآن، وموسم الطاعات، تفتح فيه أبواب الجنة وتغلق فيه أبواب النار، وتصفد الشياطين، وفيه ليلة القدر، خير من ألف شهر، قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾[65].

5- **حج بيت الله الحرام:** حجّ بيت الله تعالى واجب مرة واحدة في العمر لمن استطاع إليه سبيلا، وفيه منافع دينية ودنيوية، ومن أحسن حجه محيت ذنوبه، ورجع بلا ذنوب كيوم ولدته أمه قال تعالى: ﴿**وَلِلَّهِ**

62- الأحزاب، الآية: 40، انظر تفصيل شهادة أن لا إله إلا الله وشروطها ص: 24

63- سورة البقرة، الآية: 283

64- سورة التوبة، الآية: 103

65- سورة البقرة، الآية: 283



عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾[66].

المرتبة الثانية: الإيمان

الإيمان هو التصديق الجازم بالله تعالى، وباتصافه بصفات الجلال والكمال، والتصديق الجازم بكلّ ما أمر به عباده، من أركان الإيمان وأصوله، والإيمان يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي.

أركان الإيمان ستة: أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره[67] كما في حديث جبريل آنف الذكر، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ، قَالَ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ. قَالَ: صَدَقْتَ...»

المرتبة الثالثة: الإحسان

ومعناه أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك. كما في حديث جبريل الآنف الذكر قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِحْسَانِ، قَالَ: «أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ...»

والإحسان هو إتقان العبادة وحسن الطاعة لله عز وجل، وله حالتان:

الحالة الأولى: أن يخلص في عبادته لله عز وجل، حتى يصل إلى درجة تغلب عليه مشاهدة الحق تعالى بقلبه، كأنه يراه رأي العين.

الحالة الثانية: أن يخلص لله، حتى يستحضر أنه ربه سبحانه مطلع عليه يرى كل أعماله ويسمع كلامه.

جميع الأعمال الصالحة داخلة في الإسلام والإيمان: فإذا جمع المؤمن بين الأعمال كلها الظاهرة والباطنة صار مسلمًا مؤمنًا، وإذا عبد الله كأنه يراه، فإن لم يكن يراه فإنه يراه، صار مسلمًا مؤمنًا محسنًا.

66- سورة آلِ عمران، الآية: 97

67- انظر: تفصيل أركان الإيمان ص: 57



الفصل الثاني:

فضائل التوحيد في القرآن والسنة





القسم الأول:
فضائل التوحيد في القرآن الكريم

القرآن كله يدعو إلى تحقيق التوحيد ولوازمه

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: «كل آية في القرآن فهي متضمنة للتوحيد شاهدة به داعية إليه، فإن القرآن: إمَّا خبر عن الله وأسمائه وصفاته وأفعاله فهو التوحيد العلمي الخبري، وإمَّا دعوة إلى عبادته وحده لا شريك له وخلع كل ما يعبد من دونه، فهو التوحيد الإرادي الطلبي، وإمَّا أمر ونهي وإلزام بطاعته في نهيه وأمره، فهي حقوق التوحيد ومكملاته، وإمَّا خبر عن كرامة الله لأهل توحيده وطاعته، وما فعل بهم في الدنيا، وما يكرمهم به في الآخرة، فهو جزاء توحيده، وإمَّا خبر عن أهل الشرك وما فعل بهم في الدنيا من النكال وما يحل بهم في العقبى من العذاب فهو خبر عمن خرج عن حكم التوحيد، فالقرآن كله في التوحيد وحقوقه وجزائه وفي شأن الشرك وأهله وجزائهم»[68].

التوحيد هو الغاية التي لأجلها خلق الله الخلق

التوحيد هو غاية الخلق، قال الله تعالى: ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ**﴾[69] أخبرنا الله سبحانه أنه ما خلق الجن

68- مدارج السالكين، ابن قيم الجوزية (ج 3 ص 450)
69- سورة الذاريات، الآيات: 56-58.



والإنس إلا ليعبدوه وحده، وأنه سبحانه غير محتاج إليهم، بل هم الفقراء إليه، فلا يستقيم حالهم إلا به، فهو خالقهم وهو رازقهم، وهو مقدر أمورهم كلها.

جميعُ الرُّسُلِ دَعَوا إلى توحيدِ اللهِ عز وجلَّ وإخلاصِ العِبادةِ له

فالتوحيدُ هو الأصلُ العظيمُ الذي دَعتْ إليه جميع الرسلُ، فلم يأتِ نبيٌّ من الأنبياءِ إلا وأمر قومَه بإخلاص التوحيد والعبادة لله، ونهاهم عن أن يشركوا معه غيره، قال الله تعالى: عن نوح عليه السلام ﴿**لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُ**﴾[70].

وعن هود عليه السلام ﴿**وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُ**﴾[71].

وعن صالح عليه السلام ﴿**وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا ۗ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُ**﴾[72].

وعن شعيب عليه السلام ﴿**وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُ**﴾[73].

قال الله ﷻ ﴿**وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ**﴾[74].

قال الله ﷻ ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ**﴾[75].

70- سورة الأعراف، الآية: 59.
71- سورة الأعراف، الآية: 65.
72- سورة الأعراف، الآية: 73.
73- سورة الأعراف، الآية: 85
74- سورة النحل، الآية: 36
75- سورة الأنبياء، الآية: 25



التوحيد هو آخر دعوة الرسل

التوحيد هو آخر دعوة الرسل، وهو كذلك آخر ما يخرج به المؤمن من الدنيا، قال الله عز وجل: ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَـٰهَكَ وَإِلَـٰهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَـٰهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾[76].

فآخر ما وصى به نبي الله يعقوب ﷺ أبنائه قبل موته هو التوحيد الخالص بعبادة الله على ملة، أي على شريعة ودين، آبائه إبراهيم وإسماعيل وإسحاق. وقال رسول الله ﷺ: «من كان آخرُ كلامهِ لا إلهَ إلَّا اللهُ دخل الجنَّةَ»[77].

أعظم نعمة أنعم الله بها على عباده

أعظم نعمة أنعم الله بها على عباده أن هداهم إليه سبحانه، فعرفوه وعبدوه، قال تعالى: ﴿يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَـٰهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ﴾[78] يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ: ينزل الله عز وجل الملائكة من السماء بالرحمة والهداية للناس، قال الإمام البغوي في تفسيره: «بِالرُّوحِ: بالوحي، سماه روحا لأنه يحيي به القلوب والحق، قال عطاء: بالنبوة، وقال قتادة: بالرحمة»[79].

شرط لقبول العمل الصالح

لا ينظر الله عز وجل إلى عمل عامل ولا يقبله، إلا بعد إتيانه بالتوحيد، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا﴾[80] فلا بد أن يكون مؤمنًا موحِّدًا، ليكون عمله

76- سورة البقرة، الآية: 133

77- سورة البقرة، الآية: 133

78- سورة النحل، الآية: 2

79- معالم التنزيل، للحسين بن مسعود البغوي، سورة النحل، الآية: 2

80- سورة الإسراء، الآية: 19



مقبولا، وليكون سعيه مشكورا، فمهما عمل المشرك من خير أو من عمل صالح، فإن عمله غير مقبول قال سبحانه وتعالى: ﴿**وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ**﴾[81] قال الإمام السعدي رحمه الله: «فإن الإيمان شرط في صحة الأعمال الصالحة وقبولها، بل لا تسمى أعمالا صالحة إلا بالإيمان»[82].

يجلب السعادة والحياة الطيبة

تكفَّل الله عز وجل لأهل الإيمان والتوحيد بالتسديد في الأقوال والأفعال، وبالتمكين والسعادة في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿**مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾[83] قال الإمام السعدي رحمه الله: «فمن جمع بين الإيمان والعمل الصالح فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وذلك بطمأنينة قلبه، وسكون نفسه، وعدم التفاته لما يشوش عليه قلبه، ويرزقه الله رزقا حلالا طيبا من حيث لا يحتسب»[84].

أعظم أسباب شرح الصدر

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: «أعظم أسباب شرح الصدر: التوحيد، وعلى حسب كماله وقوته وزيادته يكون انشراح صدر صاحبه، قال الله تعالى: ﴿**أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ**﴾[85] وقال تعالى: ﴿**فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهدِيَهُ يَشرَح صَدرَهُ لِلإِسلامِ وَمَن يُرِد**

81- سورة الزمر، الآية: 65

82- تفسير السعدي، سورة النحل، الآية: 97

83- سورة النحل، الآية: 97

84- المرجع السابق

85- سورة الزمر، الآية: 22

أَن يُضِلَّهُ يَجعَل صَدرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّما يَصَّعَّدُ فِي السَّماء﴾[86] فالهدى والتوحيد من أعظم أسباب شرح الصدر، والشرك والضلال من أعظم أسباب ضيق الصدر وانحراجه، ومنها: النور الذي يقذفه الله في قلب العبد، وهو نور الإيمان، فإنه يشرح الصدر ويوسعه ويفرح القلب. فإذا فقد هذا النور من قلب العبد ضاق وحرج، وصار في أضيق سجن وأصعبه»[87].

يحقق الأمن والاهتداء

إن المؤمن الذي يوحد الله، ويتجنب الشرك، يكون في أمن وهداية في الدنيا والآخرة، قال تعالى: **﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾**[88] الَّذِينَ آمَنُوا: يعني: وحدوا الله عز وجل. لَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ: لم يخلطوا إيمانهم بِظُلْم: بشركٍ. فعَنْ عبدِ اللَّهِ بن مسعود رضي الله عنه، قالَ: «لَمَّا نَزَلَتْ هذِه الآيَةُ: **﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾** شَقَّ ذلكَ علَى أصْحابِ النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ، وقالوا: أيُّنا لَمْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ؟! فقالَ رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ: «ليسَ كما تَظُنُّونَ؛ إنَّما هو كما قالَ لُقْمانُ لِابْنِهِ: **﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾**[89]»[90].

أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ: فالتوحيد يجعل أصحابه آمنين مطمئنين، فلا يخافون الناس، ولا يخافون على أرزاقهم، ومستقبلهم، لأنهم يعلمون أن المعطي والمانع هو الله، والنافع والضار هو الله، وأن كل الأمور بيده وحده سبحانه، فتكون قلوبهم مطمئنة، ونفوسهم مرتاحة.

86- سورة الأنعام، الآية: 125

87- زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن قيم الجوزية (ج 2 ص 23)

88- سورة الأنعام، الآية: 82

89- سورة لقمان، الآية: 13

90- رواه البخاري (3360)، ومسلم (124)

وَهُمْ مُهْتَدُونَ: ويهديهم الله إلى الإيمان، والعمل الصالح في الدنيا، ويهديهم إلى الجنة في الآخرة.

التوحيد يجعل المؤمن قويا

التوحيد يجعل المؤمن قوي، فيقوى توكله على ربه واعتماده عليه وثقته به، ويزيد صبره على خطوب الدنيا وابتلاءاتها، فيفوض أموره كلها إليه، ويستغنى عن الخلق، قال تعالى: ﴿**وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾[91] و﴿**وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا**﴾[92] قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «إنا كنا أذل قوم، فأعزنا الله بالإسلام، فمهما نطلب العزة بغير ما أعزنا الله به أذلنا الله»[93].

آيات الله الكونية دليل على وحدانيته سبحانه

حثنا القرآن الكريم في كثير من الآيات على التدبر في هذا الكون والتفكر في كل ما خلقه الله فيه: السماوات والأرض، والشمس والقمر، والكواكب والنجوم، والجبال والبحار والأنهار... فمعالم هذا الكون، وسيره بكل ما فيه، وانتظامه الرائع، من أعظم الأدلة على وجود الله عز وجل، وعلى وحدانيته، وحكمته، وقدرته وموجبات حمده، لكل من تفكر وتدبر.

هذه الآيات الكونية، تقوي التوحيد، وتزيد الإيمان عند المؤمن: قال الله تعالى: ﴿**وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُواْ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُواْ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ**

91- سورة الأنعام، الآية: 17

92- سورة الطلاق، الآية: 3

93- رواه الحاكم (207)، والألباني في السلسلة الصحيحة (1/117) من طريق بن شهاب رضي الله عنه

تَشْكُرُونَ﴾[94] فهو سبحانه الذي سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ: للإنسان وسهله له لينتفع به، لِتَأْكُلُواْ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا: السمك، وكل ما تأكلونه مما يخرج لكم من البحر وَتَسْتَخْرِجُواْ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا: وتستخرجون منه ما يتحلى به نساؤكم كاللؤلؤ والمرجان، وَتَرَى ٱلْفُلْكَ: السفن والمراكب مَوَاخِرَ فِيهِ: تجري في الماء فتسمعون صوت جريانها وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِ: بالسفر والتنقل بالسفن، وللتجارة بحمل بضائعكم فيها، وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ: إذا رأيتم كل ما سخره وسهله لكم، فتشكرونه تعالى على نعمه وإحسانه، فتوحدوه، ولا تعبدون غيره.

التوحيد يحمي النفس من التمزق والصراع

المؤمن، الموحد، لا يعبد إلا إله واحد، في سرائه وضرائه، وفي كل أحواله، فقلبه مطمئن ونفسه مطمئنة. أما المشرك فقلبه مشتت بين الآلهة المتعددة، يعبد هذا مرة، ويدعو هذا مرة، ويسأل الأحياء يوم، والأموات يوم آخر، فلا يقر له قرار، قال تعالى عن نبيه يوسف عليه السلام ﴿**يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ**﴾[95].

التوحيد يحمي العبد من وساوس الشيطان

التوحيد هو الذي يطرد عن الإنسان الشيطان والوساوس، ويحميه من أصحاب الشرِّ، فهو حين يقرأ كل يوم أذكار الصباح والمساء، يزيد توحيده، وتوكله على ربه، وتفويض أموره إليه، فيحفظه الله بهذه الأذكار ويثبته، ولا يترك للشيطان عليه سلطان، كما قال سبحانه: ﴿**إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ**﴾[96].

94- سورة النحل، الآية: 14
95- سورة يوسف، الآية: 39
96- سورة الحجر، الآية: 42

يخلص الناس من العبودية لغير الله

الغاية من إرسال الرسل هي دعوة الناس إلى توحيد الله؛ قال عز وجل: ﴿**وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ**﴾[97]: ولقد بعثنا في كل أمة من الأمم السابقة رسولا لهداية الناس لعبادة الله وحده، وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ: واتركوا كل معبود سواه «أي: اتركوا كل معبود دون الله كالشيطان والكاهن والصنم، وكل من دعا إلى الضلال»[98] قال الله تعالى:﴿**قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا**﴾[99]: قل أنا مؤمن لا أحني رأسي إلا لله ربي، ورب العالمين، ولا أشرك معه أحدا في دعائي، وفى عبادتي وفي صلاتي ونسكي.

97- سورة النحل، الآية: 36

98- تفسير الإمام القرطبي، سورة النحل، الآية: 36.

99- سورة الجن، الآية: 20

القسم الثاني:
فضائل التوحيد في السنة النبوية

التوحيد أول دعوة الرسل

قالَ ابْنُ أَبِي العِزِّ الحَنَفِيُّ رحمه الله تعالى: «اعْلَمْ أنَّ التَّوحِيدَ أَوَّلُ دَعْوَةِ الرُّسُلِ، وَأَوَّلُ مَنَازِلِ الطَّرِيقِ، وَأَوَّلُ مَقَامٍ يَقُومُ فِيهِ السَّالِكُ إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ... ما خلقَ اللهُ السمواتِ والأرضَ، وما أُنزلتِ الكتبُ، ولا أرسلتِ الرسلُ، وما انقسمت الخليقةُ إلى سعداءَ وأشقياءَ، وما شُرعتِ الشرائعُ، وما قامَ سوقُ الجنَّةِ والنارِ إلَّا لأمرٍ عظيمٍ، جعلَه المولى سبحانه حقًّا له على عبيده، أمَرَهم بأدائه ووفائه»[100].

النبي ﷺ يدعو إلى التوحيد ثلاثة عشرة سنة في مكة

مكث النبي ﷺ في مكة المكرمة، قبل الهجرة، ثلاثة عشرة سنة يدعو الناس إلى شيء واحد؛ وهو توحيد الله، وإفراده بالعبادة، قبل أن تفرض عليه الصلوات الخمس، وبقية أركان الإسلام، وكان يتتبع الناس في المواقف والأسواق، يقول: يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا، كما روى ربيعة بن عباد الديلي رضي الله عنه، وكان جاهليًا فأسلم، قال: «رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم بصر عيني بسوق ذي المجاز يقول: يا أيها الناس قولوا: لا إله إلا الله تفلحوا، ويدخل في

100- شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز الحنفي (ص 77، 78)

فجاجها والناس متقصفون عليه، فما رأيت أحدًا يقول شيئًا، وهو لا يسكت، يقول: أيها الناس قولوا: لا إله إلا الله تفلحوا»[101].

التوحيد هو حق الله على العباد

التوحيد أهم الحقوق وأعظمها، فهو حق الله عز وجل، فعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: «يَا مُعَاذُ! أَتَدْرِي مَا حَقُّ اللّهِ عَلَى الْعِبَادِ وما حقُّ العبادِ عَلَى الله؟ قَالَ قُلْتُ: الله وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «فَإِنَّ حَقَّ اللّهِ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوا اللّهِ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَحَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ لَا يُعَذِّبَ مَنْ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا»[102].

حَقَّ اللّهِ عَلَى الْعِبَادِ: توحيده، والإخلاص له، وأن يعبدوه وحده، وأن يُطيعوا أوامره، وينتهوا عن نواهيه. حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللّهِ: أن يُدخلهم الجنة، ويُنجيهم من النار، إن هم أدّوا حقَّه، وعبدوه ووحَّدوه.

أول واجب على المؤمن هو تحقيق التوحيد

لما بعثَ النبيُّ ﷺ معاذًا نحوَ اليمنِ قالَ لهُ: «إِنَّكَ تَقْدَمُ عَلَى قَوْمٍ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيه أَنْ يُوَحِّدُوا اللهَ تَعَالَى، فَإِذَا عَرَفُوا ذَلِكَ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي يَوْمِهِمْ وَلَيْلَتِهِمْ، فَإِذَا صَلَّوْا، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ زَكَاةً فِي أَمْوَالِهِمْ، تُؤْخَذُ مِنْ غَنِيِّهِمْ فَتُرَدُّ عَلَى فَقِيرِهِمْ فَإِذَا أَقَرُّوا بِذَلِكَ فَخُذْ مِنْهُمْ، وَتَوَقَّ كَرَائِمَ أَمْوَالِ النَّاسِ»[103].

101- رواه أحمد (16023)، وصححه الألباني في إرواء الغليل (834)

102- رواه البخاري (2856)، ومسلم (30)

103- رواه البخاري (7372) ومسلم (19) من حديث عبد الله بنِ عباسٍ رضي الله عنهما

فأول واجب على المؤمن، وأول ما يدخل به المرء في الإسلامِ هو الإقرارِ بوَحدانيَّةِ اللهِ تعالَى، ورِسالةِ نبيِّه محمَّدٍ ﷺ، وبِدونِها لا يعد مسلما، ولا يُؤمر بشيء مِن شرائعِ الإسلامِ، إلا بعد التوحيد.

آخر واجب على المؤمن

أول واجب على المكلف شهادة أن لا إله إلا الله...اتفق علماء الإسلام على أن أول ما يُؤمَرُ به العبد الشهادتان... فالتوحيد أول ما يدخل به في الإسلام، وهو كذلك آخر ما يخرج به المؤمن من الدنيا، قال رسول الله ﷺ: «لقِّنوا مَوْتاكم لا إلهَ إلَّا اللهُ؛ فإنَّ مَن كان آخرَ كلمتِه لا إلهَ إلَّا اللهُ عندَ المَوتِ، دخَلَ الجنَّةَ يومًا مِن الدَّهرِ، وإنْ أصابَه قبلَ ذلك ما أصابَه»[104] وقال ﷺ: «من كان آخرُ كلامِهِ لا إلهَ إلَّا اللهُ دخل الجنَّةَ»[105].

التوحيد شرط لقبول الطاعات

فلا يقبل الله عز وجل عبادة إلا من الموحِّد، فمهما اجتهد الإنسان في العبادة، لن ينفعه اجتهاده، ما لم يوحد الله، فمن عبد الله وعبد معه غيره: كمن ادعى لله الشريك، أو الولد، وأمثالها. فهذا الشخص: لو أعان فقيرا، أو محتاجا، أو تصدق، أو أحسن إلى الناس، فلن يقبل منه عمله، لأنه لم يأت بالتوحيد، قال رسولَ الله ﷺ: «مَنْ مَاتَ وَهْوَ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ نِدًّا دَخَلَ النَّارَ»[106] وقالَ ﷺ: «مَنْ لَقِيَ اللَّهَ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ لَقِيَهُ يُشْرِكُ بِهِ دَخَلَ النَّارَ»[107].

104- رواه مسلم (917)، وابن ماجه (1444)، وابن حبان (3004) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه

105- (سبق تخريجه) رواه أبو داود (3116) وأحمد (22034) من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه

106- رواه البخاري (4497) من حديث عبدِ اللهِ بنِ مسعُودٍ رضي الله عنه

107- رواه مسلم (93) من حديث جابرِ بنِ عبدِ الله رضي الله عنه

التوحيد يسهِّل على العبد فعل الخير وترك المنكرات

فالمُخْلِصُ لله في إيمانه وتوحيده تَخِفُّ عليه الطاعات؛ لِما يرجو من ثواب ربه ورضوانه، ويهون عليه ترك ما تهواه النفس من المعاصي؛ لِما يخشى من سخطه وعقابه، كلما كمل التوحيد في القلب، زاد الإيمان في القلب، وكلما كان الإنسان مقبلًا على طاعة الله، بعيدًا عما حرم الله عز وجل، تكون الطاعة خفيفة عليه، تسهُلُ عليه، حتى لو كان هناك مشقة، حتى لو كان الأمر صعبًا فيه تعب وفيه عناء، ولكن الإيمان الذي في قلبه، والتوحيد الذي في قلبه، وحب الله عز وجل الذي في قلبه - سيجعل هذه الأمور سهلة ويسيرة عليه.

يخفف عن العبد المكارهَ ويهوِّن عليه والمصائب

التوحيد يخفف عن العبد المكاره والمصائب التي قد تصيبه في الدنيا، لأن المؤمن يعلم أن كل شيء بقدر الله عز وجل، قال ﷺ: «واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء، لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء، لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رُفعتِ الأقلام، وجفَّتِ الصحف»[108].

وهو سبحانه وتعالى رحيم بعباده، لا يريد لهم إلا الخير، فعندما تستقر هذه المعاني وترسخ في قلبه تهون عليه المصيبة، فلا يجزع، ولا يتسخط، ويتلقاها بالرضا والتسليم، خاصة وهو يعلم أن كل ما قدره الله، فيه حكمة، وفيه خير له، قال رَسُول الله ﷺ: «عَجَبًا لأَمْرِ المُؤْمِنِ، إنَّ أمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وليسَ ذاكَ لأَحَدٍ إلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إنْ أصابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكانَ خَيْرًا له، وإنْ أصابَتْهُ ضَرَّاءُ، صَبَرَ فَكانَ خَيْرًا له»[109] فيجد الراحة والسكينة.

108- رواه الترمذي (2516)، من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما

109- رواه مسلم (2999) من حديث صهيب بن سنان الرومي رضي الله عنه



التوحيد يعين على الصبر على أذى الخلق

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: «للعبد عشرة مشاهد فيما يصيبه من أذى الخلق وجناياتهم عليه: ... الْمَشْهَدُ الْحَادِيَ عَشَرَ: مَشْهَدُ التَّوْحِيدِ وَهُوَ أَجَلُّ الْمَشَاهِدِ وَأَرْفَعُهَا. فَإِذَا امْتَلَأَ قَلْبُهُ بِمَحَبَّةِ اللَّهِ، وَالْإِخْلَاصِ لَهُ وَمُعَامَلَتِهِ، وَإِيثَارِ مَرْضَاتِهِ، وَالتَّقَرُّبِ إِلَيْهِ، وَقُرَّةِ الْعَيْنِ بِهِ، وَالْأُنْسِ بِهِ، وَاطْمَأَنَّ إِلَيْهِ، وَسَكَنَ إِلَيْهِ، وَاشْتَاقَ إِلَى لِقَائِهِ، وَاتَّخَذَهُ وَلِيًّا دُونَ مَنْ سِوَاهُ، بِحَيْثُ فَوَّضَ إِلَيْهِ أُمُورَهُ كُلَّهَا، وَرَضِيَ بِهِ وَبِأَقْضِيَتِهِ، وَفَنِيَ بِحُبِّهِ وَخَوْفِهِ وَرَجَائِهِ وَذِكْرِهِ وَالتَّوَكُّلِ عَلَيْهِ، عَنْ كُلِّ مَا سِوَاهُ: فَإِنَّهُ لَا يَبْقَى فِي قَلْبِهِ مُتَّسَعٌ لِشُهُودِ أَذَى النَّاسِ لَهُ أَلْبَتَّةَ. فَضْلًا عَنْ أَنْ يَشْتَغِلَ قَلْبُهُ وَفِكْرُهُ وَسِرُّهُ بِتَطَلُّبِ الِانْتِقَامِ وَالْمُقَابَلَةِ. فَهَذَا لَا يَكُونُ إِلَّا مِنْ قَلْبٍ لَيْسَ فِيهِ مَا يُغْنِيهِ عَنْ ذَلِكَ وَيُعَوِّضُهُ مِنْهُ. فَهُوَ قَلْبٌ جَائِعٌ غَيْرُ شَبْعَانَ. فَإِذَا رَأَى أَيَّ طَعَامٍ رَآهُ هَفَّتْ إِلَيْهِ نَوَازِعُهُ. وَانْبَعَثَتْ إِلَيْهِ دَوَاعِيهِ. وَأَمَّا مَنِ امْتَلَأَ قَلْبُهُ بِأَعْلَى الْأَغْذِيَةِ وَأَشْرَفِهَا: فَإِنَّهُ لَا يَلْتَفِتُ إِلَى مَا دُونَهَا. وَذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ. وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ»[110].

التوحيد يضاعف الحَسَناتِ

التوحيد الخالص في قلب المؤمن يضاعف حسناته أضعافا كثيرة، فكل أقواله وأعماله تكتب له مضاعفة عشرة أضعاف، إلى سبعمائة ضعف، إلى حد لا يعلمه إلا الله.

قال رَسولُ اللهِ ﷺ: «إذا أحسنَ أحَدُكم إسلامَه فكلُّ حَسَنةٍ يعملُها تُكتبُ له بعَشْرِ أمثالِها إلى سَبعِمائةِ ضِعفٍ، وكلُّ سيئةٍ يَعمَلُها تُكتبُ له بمِثْلِها»[111].

110- مدارج السالكين (ج 2 ص 307)

111- رواه البخاري (42)، ومسلم (129) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه



التوحيد هو السبب الوحيد لنيل شفاعة رسول الله ﷺ

التوحيد هو أعظم الأسباب لنيل شفاعة النبي ﷺ: «قِيلَ يا رَسولَ اللَّهِ مَن أسْعَدُ النَّاسِ بشَفَاعَتِكَ يَومَ القِيَامَةِ؟ قالَ رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: لقَدْ ظَنَنْتُ يا أبَا هُرَيْرَةَ أنْ لا يَسْأَلُنِي عن هذا الحَديثِ أحَدٌ أوَّلُ مِنْكَ لِما رَأَيْتُ مِن حِرْصِكَ علَى الحَديثِ، أسْعَدُ النَّاسِ بشَفَاعَتي يَومَ القِيَامَةِ، مَن قالَ لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ، خَالِصًا مِن قَلْبِهِ، أوْ نَفْسِهِ»[112].

التوحيد أول شيء يُسأل عنه الإنسان في قبره

إذا مات الإنسان ووضع في قبره، ردت إليه روحه، وأتاه ملكان فيُجلسانِهِ ثم يسألانه عن إيمانه وتوحيده، وأول شيء يُسأل عنه الإنسان في قبره: من ربك؟ ما دينك؟ مَن نبيك؟ كما جاء في حديث البراء بن عازب رضي الله عنه[113].

يغفر الله به الذنوب ويكفِّر به السيئات

التوحيد يغفر الله به الذنوب، ففي الحديث القدسي عن أنس رضي الله عنه: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «قال اللهُ يا ابنَ آدمَ! إنك ما دعوْتَنِي ورجوتني غفرتُ لك على ما كان فيك ولا أُبالي، يا ابنَ آدمَ! لو بلغت ذنوبُك عنانَ السماءِ ثم استغفرتني غفرتُ لك ولا أُبالي، يا ابنَ آدمَ! إنك لو أتيتني بقُرابِ الأرضِ خطايا ثم لقيتَني لا تُشركُ بي شيئًا؛ لأتيتُك بقُرابِها مغفرةً»[114].

112- رواه البخاري (99) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه

113- انظر التفصيل في: فتنة القبر وسؤال الملكين صفحة:

114- رواه الترمذي (3540)، وأحمد (13493)، والألباني في صحيح الترغيب (1616)



فالتوحيد جزاءه مغفرة الذنوب؛ فمهما يقترف الموحد من خطايا أو كبائر، يغفرها الله له إن شاء، أو يعذبه إن شاء على قدر ذنوبه، ثم يغفر له، ويدخله الجنة، فالموحد لا يخلد في النار.

يوجب دخول الجنة والنجاة من النار

التوحيد أعظم سبب من أسباب دخول الجنة والنجاة من النار؛ لحديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: «أتَى النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ رَجُلٌ فقالَ: يا رَسولَ اللَّهِ، ما المُوجِبَتانِ؟ فقالَ: مَن ماتَ لا يُشْرِكُ باللَّهِ شيئًا دَخَلَ الجَنَّةَ، ومَن ماتَ يُشْرِكُ باللَّهِ شيئًا دَخَلَ النَّارَ»[115].

التوحيد يحرّم العبد على النّار

مِن فضائل التوحيد أنّه سبب للنَّجاة من النّار، فمن كمل التوحيد في قلبه نجى من دخول النار، قال رَسولَ الله ﷺ: «من شَهِدَ أنْ لا إلهَ إلَّا اللهُ، وأنَّ مُحمَّدًا رَسولُ اللهِ، حرَّم اللهُ عليه النَّارَ»[116] وفي حديث عِتْبانَ بنِ مالِكٍ رضي الله عنه عن النَّبيِّ ﷺ، أنه قال: «فإنَّ اللهَ قد حرَّم على النَّارِ مَن قال: لا إلهَ إلَّا اللهُ، يبتغي بذلك وَجْهَ اللهِ»[117].

يخرج من النار من في قلبه مثقال ذرة من إيمان

التوحيد يمنع من الخلود في النار، ويدخل الجنة، من كان في قلبه منه أدنى حبة من خردل من إيمان ففي حديث الشفاعة: عن أبي سَعيدٍ الخُدْريِّ رضي الله عنه أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «...يَقولونَ: رَبَّنا إخوانُنا كانوا يُصَلُّونَ مَعنا، ويَصومونَ مَعنا، ويَعمَلونَ مَعنا، فيَقولُ اللهُ تعالى: اذهَبوا فمَن وجَدتُم في قَلبِهِ مِثقالَ دينارٍ من إيمانٍ فأخرِجوه ويُحرِّمُ اللهُ

115- رواه مسلم (93)

116- رواه ومسلم (29) من حديث عُبادةَ بنِ الصَّامِتِ رضي الله عنه

117- رواه البخاري (1186)، ومسلم (33)

صُوَرَهم على النَّارِ، فيَأتونَهم وبَعضُهم قد غابَ في النَّارِ إلى قَدَمِه، وإلى أنصافِ ساقَيه، فيُخرِجونَ من عَرَفوا، ثُمَّ يَعودونَ، فيَقولُ: اذهَبوا فمَن وجَدتُم في قَلبِه مِثقالَ نِصفِ دينارٍ فأخرِجوه، فيُخرِجونَ من عَرَفوا، ثُمَّ يَعودونَ، فيَقولُ: اذهَبوا فمَن وجَدتُم في قَلبِه مِثقالَ ذَرَّةٍ من إيمانٍ فأخرِجوه، فيُخرِجونَ من عَرَفوا. قال أبو سَعيدٍ: فإن لَم تُصدِّقوني فاقرَؤوا: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا**﴾[118].

التوحيد جامع لفضائل العبودية

قال ابن القيم رحمه الله: «فَعِلْمُ العبد بتفرد الرب تعالى بالضر والنفع، والعطاء والمنع، والخلق والرزق، والإحياء والإماتة، يُثمِرُ له عبودية التوكل عليه باطنًا، ولوازم التوكل وثمراته ظاهرًا، وعلمه بسمعه تعالى وبصره وعلمه، وأنه لا يخفى عليه مثقال ذرة في السماوات والأرض، وأنه يعلم السر وأخفى، ويعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور يثمر له حفظ لسانه وجوارحه وخطرات قلبه عن كلما لا يُرضِي الله، وأن يجعل تعلُّقَ هذه الأعضاء بما يحبه الله ويرضاه؛ فيثمر له ذلك الحياء باطنًا، ويثمر له الحياء اجتناب المحرمات والقبائح، ومعرفة غِناه وجوده وكرمه، وبِرِّه وإحسانه ورحمته - تُوجِبُ له سَعَةَ الرجاء، ويثمر له ذلك من أنواع العبودية الظاهرة والباطنة حسب معرفته وعلمه، وكذلك معرفته بجلال الله وعظمته وعزته تثمر له الخضوع والاستكانة والمحبة، وتثمر له تلك الأحوال الباطنة أنواعًا من العبودية الظاهرة هي موجباتها»[119]

118- سورة النساء، الآية: 40، الحديث رواه البخاري (7439)، ومسلم (183).

119- مفتاح دار السعادة، ابن قيم الجوزية (2/ 510 - 513)

القسم الثالث:
أركان الإيمان

جعل الله عز وجل للإيمان أركان، وأوجب علينا الإيمان بها كلها، وسمى في القرآن الذين آمنوا بها مؤمنين، والذين جحدوا بها كافرين، قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِن قَبْلُ وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا**﴾[120] وفي حديث جبريل عليه السلام وسؤاله للنبي ﷺ: «يا محمَّدُ ما الإيمانُ؟ قالَ أن تؤمِنَ باللَّهِ وملائكتِهِ ورسلِهِ وكتبِهِ واليومِ الآخرِ والقدَرِ خيرِهِ وشرِّهِ»[121].

أركان الإيمان ستة: الإيمان باللَّهِ، وملائكتِهِ، ورسلِهِ، وكتبِهِ، واليومِ الآخرِ، والقدَرِ خيرِهِ وشرِّهِ.

120- سورة ا لنساء، الآية: 136

121- رواه البخاري (50)، ومسلم (9)

الإيمان بالله تعالى

وهو التَّصديقُ الجازم بالقلب، والإقرارُ باللسان بوُجودِ، الله ربًا وإلهًا ومعبودًا واحدًا لا شريك له، وأنَّه تعالى مَوصوفٌ بصِفاتِ الجَلالِ والكمالِ، ومُنزَّهٌ عن صِفاتِ النَّقصِ، وأنَّه واحدٌ حَقٌّ، صمَدٌ فردٌ، خالق جَميعَ المخلوقاتِ، يَفعَلُ في مُلكِه ما يُريدُ، ويَحكُمُ في خَلقِه كما يَشاءُ، وأنَّه المستحقُّ وحْدَه لكلِّ أنواعِ العِبادةِ دون ما سِواه بالانقياد له، وإفراده بجميع الطاعات على الوجه الذي شرع، والإيمان بأسمائه وصفاته، التي وردت في القرآن الكريم، وفي السنة النبوية الصحيحة من غير تحريف لمعانيها، أو تشبيه لها بصفات خلقه، أو تكييف أو تعطيل.

الإيمان بالملائكة

هو التَّصديقُ الجازم بوُجودِ الملائكة، وأن الله خلقهم من نور، لأداء المهام والوظائف التي وكلهم بها، ويعبدونه ويسبحونه، لا يملون، ولا يعصونه أبدًا، قال سبحانه: ﴿**لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ**﴾[122] وهم لا يأكلون ولا يشربون ولا ينامون، ولا يتزوجون، ولا يتعبون، وأعطاهم الله القدرة على أن يتمثلوا بصور البشر، كما في حديث عمر عن جِبْرِيل عليه السلام: «بَيْنَما نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ رسُولِ الله صلى الله عليه وسلم إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَياضِ الثِّيَابِ شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعَرِ...»[123] وجعل الله لهم أجنحة يتفاوتون في أعدادها، قال تعالى: ﴿**الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ۚ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ**﴾[124] وقد رأى النبي ﷺ جبريل له ستمائة جناح[125] وهم كثيرون لا يحصي عددهم إلا الله تعالى: ﴿**وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ**﴾[126] فنؤمن بهم جميعا.

122- سورة التحريم، الآية: 6

123- رواه مسلم (8)

124- سورة فاطر، الآية: 1

125- عَنْ عبدِ اللهِ بن مسعود رضي الله عنه قالَ: ﴿ما كَذَبَ الفُؤادُ ما رَأَى﴾ سورة النجم، الآية: 11، قالَ: «رَأَى جِبْرِيلَ عليه السَّلامُ له سِتُّمِئَةِ جَناح» الحديث أخرجه البخاري (3232)، ومسلم (174).

126- سورة المدثر، الآية: 31

وقد ذكر في القرآن الكريم، وفي السنة الصحيحة منهم: جِبريلَ الموكل بالوحي، ومِيكائيلَ الموكل بنزول المطر، وإسرافيل الموكل بالنفخ في الصور، وملك الموت، وحملة العرش، والملائكة الموكلين بالجنة، والملائكة الموكلين بالنار وهم الزبانية، وكبيرهم مالك، والملائكة الموكلين بحفظنا وكتابة كل أعمالنا.

والملائكة ليسوا ذرية لله ولا بنات: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾[127] فلا نعبدهم، ولا نستعين بهم، ولا نستغيث بهم: قال سبحانه: **﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُم بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾**[128].

127- سورة الأنبياء، الآيتين: 26 و27

128- سورة آل عمران، الآية: 80



الإيمان بالكتب السماوية

الاعتقاد الجازم بأن الله سبحانه أنزل على أنبيائه ورسله كتبا لهداية الناس، وردهم لربهم.

ذكر الله سبحانه منها في القرآن: التوراة التي أنزلت على موسى، والإنجيل على عيسى، والزبور على دَاوُدَ، والقرآن على محمد، قال تعالى: ﴿**نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ**﴾[129].

ومع الكتب السماوية الأربعة أنزل الله عددا من الصحف وهي كتب مصغرة، على آدم، وشيث، وادريس وإبراهيم، وموسى، قال تعالى: ﴿**إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى**﴾[130] وهناك كتب أخرى أنزلها الله على بعض رُسله لم يذكرها لنا فنؤمن بها كلها، ولكن لا ننسب كتابا إلى الله إلا ما ذكر في القرآن الكريم، وفي السنة الصحيحة الثابتة، قال تعالى: ﴿**كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ**﴾[131] وهذه الكتب كلها حق من كلام الله، جاءت بالهدى والنور، وتوحيده عز وجل.

129- سورة آل عمران، الآيتين: 3 و4.

130- سورة الأعلى، الآيتين: 18 و19.

131- سورة البقرة، الآية: 213



والقرآن الكريم هو آخر كتاب نزل، خاتما للكتب الأخرى ومهيمنا عليها، وكل كتاب أرسل لأمة واحدة، إلا القرآن فقد أرسل للعالمين، وقد وصل إلينا بسند صحيح، ثابت كما تلاه جِبْرِيل على النبي ﷺ، ولم يتغير منه شيء فقد تعهد الله بحفظه قال تعالى: ﴿**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**﴾[132].

أما جميع الكتب الأخرى التي نزلت قبل القرآن فقد ضاعت كل نسخها الأصلية، والموجودة منها اليوم، محرّفة، ولا يجوز نسبتها لله، ولا يصح نسبتها للأنبياء، فليس لها أي سند تاريخي ثابت، وهي إلى ذلك قد حرفت واختلط فيها كلام الله بكلام البشر، من المفسرين، والمؤرخين، والقصاص، وقد حوت كثيرا من العقائد الفاسدة، وفيها ثلب لبعض الأنبياء مما لا يمكن نسبته لله عز وجل.

132- سورة الحجر، الآية: 9

الإيمان بالأنبياء والرسل عَلَيۡهِمُ ٱلسَّلَامُ

هو الإيمان بالرسل والأنبياء الذين بعثهم الله، فقد بعث الله لكلّ أمة رسولا: ﴿**وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ**﴾[133] و﴿**وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ**﴾[134] وهم كثير لا يعلم عددهم وأسماؤهم إلا الله، وهم أحسن وأفضل البشر اختارهم واصطفاهم لتوحيده وعبادته، ولتبليغ دعوته، وإقامة شرعه على أرضه.

هم رجال من البشر يأكلون ويشربون ويمرضون: ويموتون ويصيبهم ما يصيب البشر: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ**﴾[135] وقد نزههم الله عن الذنوب والمعاصي، وأيّدهم سبحانه بالمعجزات كناقة صالح، وخروج إبراهيم سالما من النار بعد إلقاءه فيها، وعصا موسى التي تتحول إلى حية، وتسخير الريح والجن لسليمان وتفهيمه لغة الحيوان والطير، وإحياء عيسى للموتى وإبرائه المرضى، ومعجزة محمد ﷺ في القرآن الكريم فعلينا الإيمان بهم، وتصديق معجزاتهم، واتباع دعوتهم، والاقتداء بهم، ولا يصح إيمان العبد إلا بالإيمان بهم جميعا: ﴿**مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ**﴾[136].

133- سورة فاطر، الآية: 24

134- سورة يونس، الآية: 47

135- سورة النحل، الآية: 43

136- سورة النساء، الآية: 80

الفرق بين الرسول والنبي: أن الرسول هو الذي أُنزل عليه كتاب وشرع مستقل وأمره الله بدعوة قومه لعبادة الله. أما النبي فهو الذي لم ينزل عليه كتاب إنما أوحي إليه أن يدعو قومه بشريعة رسول قبله مثل أنبياء بني إسرائيل كانوا يدعون بشريعة موسى وما في التوراة.

ذكر الله في القرآن خمسة وعشرين منهم: آدم، نوح، إدريس، صالح، إبراهيم، هود، لوط، يونس، إسماعيل، إسحاق، يعقوب، يوسف، أيوب، شعيب، موسى، هارون، اليسع، ذو الكفل، داود، زكريا، سليمان، إلياس، يحيى، عيسى، محمد.

فنقر بنبوّتهم ورسالاتهم، ونصدق أخبارهم التي جاءت في القرآن والسنة.

أولوا العزم من الرسل خمسة: وهم محمد وإبراهيم وموسى ونوح وعيسى عليهم السلام.

ومحمد ﷺ آخر الأنبياء، وخاتمهم، ولا نبي بعده، قال تعالى: ﴿**مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَـٰكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ**﴾[137] أرسل للناس عامة ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا**﴾[138] وأرسل للإنس والجن فيجبُ على العالَمينَ الإيمانُ به واتباعُه.

137- سورة الأحزاب، الآية: 40

138- سورة سبأ، الآية: 28

الإيمان باليوم الآخر

معناه الإيمان بيوم القيامة، وهو آت لا ريب فيه، وهو اليوم الذي يخرج الله فيه الناس من قبورهم ليحاسبهم على أعمالهم التي عملوها في حياتهم. ومن مات فقد قامت قيامته.

والإيمان باليوم الآخر، معناه الإيمان بكل ما أخبر به الله ورسوله مما يكون بعد الموت من فتنة القبر وعذابه ونعيمه، والبعث، والحشر، والصحف، والحساب والميزان، والحوض، والصراط، والشفاعة والجنة والنار:

فتنة القبر وسؤال الملكين

إذا مات الإنسان فقد قامت قيامته، فإذا وضع في قبره ودفن، سُئل عَنِ توحيده وإيمانه، وحوسب على كل ما عمله في هذه الدنيا، قال اللهُ تعالى: ﴿**يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ**﴾[139].

فإذا وضع الميت في قبره ودفن، ردت إليه روحه، وسمع خفق نعال دافنيه إذا ولّوا مدبرينَ، فيأتيهِ ملكان (منكرٌ ونكيرٌ) فيجلسانه، ثم يسألانه، كما جاء في حديث البراء بن عازب رضي الله عنه: «إن العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا، وإقبال من الآخرة... فتعاد روحه فيأتيه ملكان فيجلسانه فيقولون له: من ربك؟ فيقول: ربي الله

139- سورة إبراهيم، الآية: 27

فيقولون له: ما دينك؟ فيقول: ديني الإسلام، فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هو رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيقولان له: وما علمك؟ فيقول: قرأت كتاب الله فآمنت به وصدقت، فينادي مناد من السماء أن قد صدق، فأفرشوه من الجنة وألبسوه من الجنة وافتحوا له بابا إلى الجنة، قال: فيأتيه من روحها وطيبها ويفسح له في قبره مد بصره... وإن العبد الكافر إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة... فتعاد روحه في جسده ويأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له: من ربك؟ فيقول: هاه هاه، لا أدري فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: هاه، هاه، لا أدري، فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هاه، هاه لا أدري، فينادي مناد من السماء أن كذب عبدي، فأفرشوا له من النار، وافتحوا له بابا إلى النار، فيأتيه حرها وسمومها ويضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه»[140].

عذاب القبر ونعيمه

إن الميت في قبره يكون في نعيم أو في عذاب، ويفسح له في قبره إن كان من أهل الجنة، ويعرض عليه مقعده من الجنة أو النار، قال تعالى: ﴿**وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ**﴾[141] فبين الله لنا في هذه الآيات أن آل فرعون يعرضون على النار في الغداة والعشية، قبل أن تقوم الساعة، يعني في قبورهم، ثم يوم القيامة يدخلون النار، وينالون أشد العذاب. وكما في الحديث السابق للبراء بن عازب رضي الله عنه عن عذاب القبر ونعيمه: «...أما المؤمن: ...فينادي منادٍ منَ السَّماءِ: أن قَد صدقَ عَبدي، فأفرِشوهُ منَ الجنَّةِ، وافتَحوا لَهُ بابًا إلى

140- رواه أبو داود (4753)، والنسائي (2001)، وابن ماجه (1549)، وأحمد (18557).

141- سورة غافر، الآية: 46

الجنَّةِ، وألبسوهُ منَ الجنَّةِ...وأما الكافر: ...فينادي منادٍ منَ السَّماءِ: أن كذَبَ، فأفرشوهُ منَ النَّارِ، وألبِسوهُ منَ النَّارِ، وافتَحوا لَهُ بابًا إلى النَّار».

أسئلة القبر

فتنة القبر وسؤال الملكين حق، والنصوص فيها كثيرة، بلغت حد التواتر، فعلى المؤمن أن يحفظها، ويعرف كيف يجيب عنها، إذا طرحت عليه، وباستقراء النصوص الصحيحة، تكون الأسئلة كما يلي:

من ربك؟

ربي الله، الذي خلقني وخلق الناس جميعا.

الدليل قوله تعالى: ﴿قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ﴾(142).

بأي شيء تعرف ربك؟

أعرف ربي بعلامات منها: الليل، والنهار، والشمس، والقمر.

الدليل قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ﴾(143).

ما دليل وحدانية الله؟

دليل وحدانية الله تعالى: قوله سبحانه: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾(144).

ما دينك؟

ديني الإسلام: والإسلام هو الاستسلام لله بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة، والإخلاص من الشرك. الدليل قوله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾(145).

142- سورة الرعد، الآية: 16

143- سورة الروم، الآية: 22

144- سورة الأنبياء، الآية: 22

145- سورة آل عمران، الآية: 19

ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ أو من رسولك؟
رسولي، ونبيي هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم، وهاشم من قريش، وقريش من العرب وهو خاتم الأنبياء، أرسله الله الى الناس كافة، بشيرا ونذيرا، وداعيا لعبادة الله وحده لا شريك له.
وما علمك؟ أو كيف عرفت ذلك؟
قرأت كتاب الله فآمنت به وصدقته، واتبعته ﷺ.

أشراط الساعة

أشراط الساعة: أي علامات القيامة، التي تسبق وقوعها، وتدل على قرب حصولها، والتي ثبتت بالنصوص الصحيحة في القرآن الكريم، وفي السنة النبوية، قال تعالى: ﴿**فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ**﴾[146].

وقد قسمها علماء الإسلام إلى: علامات صغرى، وعلامات كبرى.

العلامات الصغرى: وقد وقع معظمها، منها: بعثة النبي ﷺ وموته، وانتشار الزنا، والربا، وشرب الخمر وانتشار الفتن، وكثرة الزلازل، وكثرة القتل...

العلامات الكبرى: وتظهر متتابعة، قريبة من يوم القيامة وهي: ظهور الدجال، ونزول عيسى، وخروج يأجوج ومأجوج، وثلاث خسفات: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، والدخان، وطلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة، والنار التي تسوق الناس إلى المحشر.

البعث

نؤمنُ بأن الله يبعث من في القبور، ويحيي الموتَى ليحاسبهم. وقد أمر الله عز وجل نبيه أن يقسم على أن البعث حق لا ريب فيه، قال تعالى:

146- سورة محمد، الآية: 18



﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾[147].

العرض والحساب

الحساب يوم القيامة نوعان: عرض أو حساب.

العرض: وهو يخص المؤمن الصالح، يُسأل عن عمله وعن نعم الله عليه، فيجيب عنها ويقر بذنوبه عندما تعرض عليه، فيسترها الله، ويتجاوز عنه، ولا يناقش في التفاصيل، ويأخذ كتابه بيمينه، وينجو من العذاب ويدخل الجنة.

الحساب: وهو حساب مناقشة للكفار، ولمن شاء الله من المؤمنين العصاة، ويكون حسابهم عسيرا على قدر ذنوبهم، ومن يدخل النار من هؤلاء المؤمنين العصاة، يبقى فيها ما شاء الله له أن يبقى، ثم يأذن الله فيخرجه منها ويدخله الجنة: قال رسول الله ﷺ قَالَ: «مَنْ نُوقِشَ الْحِسَابَ عُذِّبَ» قَالَتْ: قُلْتُ أَلَيْسَ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: «فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا؟» قَالَ: «ذَلِكِ الْعَرْضُ»[148].

الميزان

بعد الحساب، توزن أعمال العباد، بميزان حقيقي، يحول الله أعمال العباد إلى أجسام لها ثقل، فتوضع الحسنات في كفة، والسيئات في كفة، قال تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾[149] فمن ثقلت حسناته أدخل الجنة، ومن رجحت سيئاته ألقي في النار، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ نَارٌ حَامِيَةٌ﴾[150].

147- سورة التغابن، الآية: 7

148- رواه البخاري (6536)، ومسلم (2876) من حديث عَائِشَةَ رضي الله عنها

149- سورة الأنبياء، الآية: 47

150- سورة القارعة، الآيات: 6 إلى 11



فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ: من رجحت حسناته على سيئاته، **فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ**: يعني في الجنة. وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ: من رجحت سيئاته على حسناته. فَأُمُّهُ، هَاوِيَةٌ: فمأواه، النار[151].

الصراط

بعد الميزان يمر الناس على الصراط وهو جسر يوضع فوق جهنم، وهو أدق من الشعرة، وأحد من السيف، يمرون على قدر أعمالهم في حياتهم الدنيا، فيمر المؤمن عليها سريعا كالطرف وكالبرق، وكالريح... ومن الناس من يمر بطيئا، ومن يمر زحفا، ومنهم من يسقط في قاع جهنم، أعاذنا الله منها. قال تعالى: ﴿**وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا**﴾[152].

الحوض

هو نهر في الجنة أعطاه الله نبيه أشد بياضا من اللبن، وأحلى من العسل، وريحه أطيب من المسك، يشرب منه المؤمنون، ومن شرب منه فلا يظمأ أبدا، وسيمنع الملائكة رجالا من الاقتراب والشرب من الحوض يوم القيامة، فيقول النبي ﷺ إنهم من أمتي فَيُقَالُ إِنَّهُمْ قَدْ بَدَّلُوا بَعْدَكَ (الدين) فيقُولُ ﷺ سُحْقًا سُحْقًا: فعَنْ أَبِي حَازِمٍ قَالَ سَمِعْتُ سَهْلا يَقُولُ سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «أَنَا فَرَطُكُمْ (أي: سابقكم) عَلَى الْحَوْضِ مَنْ وَرَدَ شَرِبَ وَمَنْ شَرِبَ لَمْ يَظْمَأْ أَبَدًا وَلَيَرِدَنَّ عَلَيَّ أَقْوَامٌ أَعْرِفُهُمْ وَيَعْرِفُونِي ثُمَّ يُحَالُ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ، إِنَّهُمْ مِنِّي، فَيُقَالُ: إِنَّكَ لا تَدْرِي مَا عَمِلُوا بَعْدَكَ. فَأَقُولُ سُحْقًا سُحْقًا لِمَنْ بَدَّلَ بَعْدِي»[153].

151- تفسير بن كثير، سورة القارعة، الآيات: 6 إلى 11

152- سورة مريم، الآيتين: 71 و72

153- رواه البخاري (6528)، ومسلم (4243)



الجنة والنار

الجنة: هي دار الثواب لمن أطاع الله، وهي في السماء السابعة، ولها ثمانية أبواب، وهي مائة درجة، بين كل درجة والأخرى كما بين السماء والأرض، وهي دار النعيم، ترابها المسك والزعفران، وسقفها عرش الرحمان، وحصباؤها اللؤلؤ، وسيقان أشجارها من الذهب والفضة، ويعطي الله فيها لأدنى أهل الجنة مكانة عشرة أمثال ملك من ملوك الدنيا، ويعطي أعلاهم منزلة من النعيم ما لا عين رأت ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر. فهنيئا لمن فاز بها قال ﷺ: «إِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَسَلُوهُ الفِرْدَوْسَ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الجَنَّةِ، وَأَعْلَى الجَنَّةِ، وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ»[154].

النار: هي دار العقاب للكفار والمشركين والمنافقين لا يخرجون منها، ولهم فيها عذاب أليم، ولمن شاء الله من عصاة المؤمنين بقدر ذنوبهم، ثم يدخلهم الجنة كما قال تعالى: ﴿**إِنَّ الله لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ**﴾[155] في الأرض السفلى، ولها سبعة أبواب، ونار الدنيا جزء من سبعين جزءًا من نار جهنم، والنار لها دركاتٌ بعضها أسفل من بعضٍ، وعمق قعرها مسيرة سبعين عاما، أعاذنا اللهُ تَعالَى منها.

154- رواه البخاري (7423) من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه

155- سورة النساء، الآية: 48



الإيمان بالقضاء وبالقدر خيره وشره

الإيمان بالقضاء والقدر معناه التصديق الجازم بأن كل ما يقع في الكون من خير أو شر، هو بقضاء الله وقدره، وأنه سبحانه كتب كل ما سيقع في اللوح المحفوظ قبل وقوعه، ولا شيء يقع في الكون إلا بعلم الله وإرادته.

فالإيمان بالقضاء والقدر، يتضمن التصديق، والاعتقاد الجازم:

- بأن كل ما يقع من خير وشر هو مقدر من الله، فالله سبحانه، علم بكل شيء وقدره، قال تعالى: ﴿**إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ**﴾[156].

- الإيمان بأن الله كتب كل شيء، وكل ما سيقع، قبل خمسين ألف سنة في اللوح المحفوظ، قال رسول الله ﷺ: «**كَتَبَ اللَّهُ مَقَادِيرَ الْخَلائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ**»[157].

- الإيمان بأنه لا يكون شيء في السماوات والأرض إلا بمشيئته وإرادته سبحانه، فهو الفعّال لما يريد، فما شاءه الله كان، وما لم يشأه لم يكن، قال تعالى: ﴿**إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ**﴾[158].

156- سورة القمر، الآية: 49

157- رواه مسلم في صحيحه (2653) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما

158- سورة يس، الآية: 82.



- الإيمان بأن جميع الكائنات مخلوقة لله، فهو خالق كل شيء، فلا خالق غيره، ولا رب سواه، قال الله تعالى: ﴿**وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ**﴾[159] و﴿**وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرا**﴾[160].

فوائد الإيمان بالقضاء والقدر

للإيمان بالقضاء والقدر فوائد عدة: فهو يجعل المؤمن يوقن أن ما به من نعم، فهي من فضل الله تعالى عليه، وهو سبحانه الذي يدفع عنه كل ضر ومكروه، فيصبر عند المصائب، ويقنع برزقه الذي كتبه له، فيسكن قلبه، وتطمئن نفسه، ولا يخشى إلا ربه، ليقينه بأنه لن يصيبه إلا ما كتبه له، وأن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه[161].

159- سورة الصافات، الآية: 96

160- سورة الفرقان، الآية: 2.

161- جزء من حديث النبي ﷺ لعبد الله بن عباس رضي الله عنهما يا غلامُ، «...احفَظِ اللَّهَ يحفَظكَ... واعلَم أنَّ ما أصابَكَ لم يكُن ليُخطِئَك وما أخطأَكَ لم يكُن ليُصيبَكَ» رواه الترمذي (2516)، وأحمد (2803)



الفصل الثالث:

الشرك بالله تعالى



القسم الأول:
تعريفات هامة

تعريف الشرك

لغة: من الفعل شَرك، وجمع الشريك شركاء، وأشراك، ويُقال: شاركه أيّ صار شريكه، واشتركا في كذا وتشاركا، والشرك هو الكفر، وأشرك بالله تعالى فهو مشركٌ، قال الله تعالى: ﴿**وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي**﴾[162] أيّ أجعله شريكي فيه.

اصطلاحًا: الشرك هو الكفر بالله أي التكذيب والجحود به سبحانه، والشرك هو تشريك غير الله مع الله في العبادة والملك، كعبادة صنم، أو عبادة إنسان مثله، أو عبادة حيوان، أو جماد، أو كالسجود لأحد من الأموات، أو الاستعانة به، أو دعاءه، أو الذبح والنذر له.

قال شيخ الإسلام بن تيمية رحمه الله تعالى: «أصل الشرك أن تُعدل بالله تعالى مخلوقاته، في بعض ما يستحقه وحده»[163].

فائدة معرفة الشرك

على المسلم أن يعرف الشرك، حتى يتجنبه ويتقيه، ولا يقع فيه، كما قال حذيفة بن اليمان رضي الله عنه: «كان الصحابة يَسْأَلُونَ رَسُولَ

162- سورة طه، الآية: 32

163- كتاب الاستقامة، ابن تيمية (1/344)

اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الخَيْرِ، وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي»[164].

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: « إِنَّمَا تُنْقَضُ عُرَى الْإِسْلَامِ عُرْوَةً عُرْوَةً إِذَا نَشَأَ فِي الْإِسْلَامِ مَنْ لَمْ يَعْرِفْ الْجَاهِلِيَّةَ»[165].

وقال ابن القيم رحمه الله: «وهذه حال المؤمن، يكون فطنًا حاذقًا، أعرف الناس بالشر وأبعدهم منه، فإذا تكلم في الشر وأسبابه ظننته من أشر الناس، فإذا خالطته وعرفت طويته رأيته من خير الناس»[166]

وقال الشاعر:

عَرَفتُ الشَرَّ لا لِلشَر *** لَكِن لِتَوَقّيهِ

وَمَن لَم يَعرِفِ الشَرَّ *** مِنَ الخَيرِ يَقَع فيهِ[167]

تعريف الكفر

لُغة: التَّغطيةُ والسَّترُ، يقال فلانٌ كَفَر نِعمةَ اللهِ: إذا سَترَها فلم يَشكُرْها.

اصطلاحًا: ضِدُّ الإيمانِ، وهو عدم الإيمان بالله سبحانه وبرسله ﷺ، أو برد شيء من فرائضَ الإيمان أو بجحود شيء من مبادئ الإسلام وأحكامه.

قال ابن تيمية رحمه الله: «الكُفْرُ عَدَمُ الإيمانِ باللهِ ورَسولِه، سواءٌ كان معه تكذيبٌ أو لم يكُنْ معه تكذيبٌ، بل شَكٌّ ورَيبٌ أو إعراضٌ عن هذا، حَسَدًا أو كِبرًا أو اتِّباعًا لبَعضِ الأهواءِ الصَّارفةِ عن اتِّباعِ الرِّسالةِ»[168].

164- رواه مسلم (1847)

165- سبق تخريجه في المقدمة

166- مفتاح دار السعادة، ابن قيم الجوزية (2/289)

167- تنسب هذه الأبيات لأبي فراس الحمداني، وهو من شعراء العصر العباسي.

168- مجموع الفتاوى، ابن تيمية (ج 12 ص 335)



الفرق بين الشرك والكفر

والشرك والكفر قد يُطلقان بمعنى واحد وهو الكفر بالله أي: التكذيب والجحود بالله، وقد يُفرَّق بينهما فيُخَص الشرك بعبادة الأوثان أو النجوم وغيرها من المخلوقات مع اعترافهم بالله ككفار قريش، فيكون الكفر أعم من الشرك.

تعريف النفاق

لُغة: مأخوذٌ من الفعل نافَقَ، وأصله من النّفق؛ لأنّ المُنافق يُخفي أمرَه، كمن يدخل ويختبئ في النّفق، قال ابن رجب: «النِّفاقُ في اللُّغةِ هو من جِنسِ الخِداعِ والمكرِ، وإظهارِ الخَيرِ، وإبطانِ خِلافِه»[169].

اصطلاحًا: هو فعل المنافق، وهو إظهار الإيمان وإبطان الكفر، وقد سمّى بعض الفقهاء المنافقَ زنديقًا. وقيل: «النفاق إظهارُ القولِ باللِّسانِ أو الفِعلِ بخِلافِ ما في القَلبِ من القولِ والاعتقادِ»[170] قال الله تعالى: ﴿**إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا**﴾[171].

تعريف الإلحاد

لغة: هو العدول عن الاستقامة، والميل والجور، والانحراف.

اصطلاحًا: كلمة معاصرة تطلق على فئة، تنكر وجود الله عز وجل، ولا تعترف به خالقا للكون وما فيه، وتعتقد أن العالم وما فيه قد جاء مصادفة (بزعمهم)، وهذا اعتقاد باطل، مناف للفطرة، ولا يقبله العقل السليم. قال تعالى: ﴿**وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ**﴾[172] قال الإمام السعدي: «المشركون الكافرون بربهم جمعوا بين

169- جامع العلوم والحكم، ابن رجب (ج 2 ص 481)

170- عارضة الأحوذي، ابن العربي (ج 10 ص 97)

171- سورة النساء، الآية: 145

172- سورة الحج، الآية: 25

الكفر بالله ورسوله، وبين الصد عن سبيل الله، ومنع الناس من الإيمان، والصد أيضا عن المسجد الحرام»[173].

الفرق بين الإلحاد والشرك

أن المشرك غالبا يؤمن بالله سبحانه ويقر به خالقا، ويؤمن برسوله ﷺ، وباليوم الآخر، لكنه في نفس الوقت يؤمن بشريك لله، ويساويه سبحانه بغيره، وهذا تنقص لله رب العالمين، وضلال، يوجب له دخول النار، إذا لم يتب، ومات على شركه.

أما الملحد فإنه أشد كفرا وانحرافا، لأنه يجحد وجود الله، ولا يُؤْمِن برسوله ﷺ، ولا باليوم الآخر، ولا بالجنة والنار، ولا بشيء من أركان الإيمان، والملحد يسمح لنفسه بارتكاب جميع أنواع المعاصي، والمنكرات، فهو أخبث وأضل من المشرك.

قال الشيخ ابن باز رحمه الله: «وهكذا من ينكر وجود الله، ويقول: ليس هناك إله والحياة مادة كالشيوعيين والملاحدة المنكرين لوجود الله هؤلاء أكفر الناس وأضلهم وأعظمهم شركا وضلالا، نسأل الله العافية»[174].

173- تفسير السعدي، سورة الحج، الآية: 25

174- مجموع فتاوى، ابن باز (ج 4 ص 32-33)

القسم الثاني:
التحذير من الشرك في القرآن الكريم

الشرك بالله عز وجلّ هو أعظم الذنوب وأخطرها، وهو أظلم الظلم، وأكبر الجرائم، وهو الذّنب الذي لا يُغفر، ولقد بعث الله عز وجل نبيه ﷺ، في زمن عم فيه الكفر والجهل، فكانوا متفرقين في عباداتهم، فمنهم من كان يعبد الأصنام، ومن يعبد الشمس والقمر، ومن يعبد الأنبياء والصالحين، ومن يعبد الملائكة، ومن يعبد الأحجار والأشجار، وغيرها، وهي كلها من الشرك والكفر الذي حرمه الله سبحانه في القرآن الكريم، وسعى النبي ﷺ في إزالتها:

من الشرك عبادة الشمس أو الْقَمَرِ

الشمس والقمر، مخلوقات لله سبحانه، خاضعة لأمره، تسير وفق إرادته، فلا نعبدها ولا نقدسها، قال تعالى: ﴿**وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ**﴾[175].

من الشرك عبادة الْمَلائِكَةِ

الملائكة مخلوقات لله عز وجل، تعبده وتطيعه، ولا تعصيه ولا تخرج عن أمره أبدا، ولا تعمل إلا ما سخرها الله لها، فلا نعبدها ولا نقدسها،

175- سورة فصلت، الآية: 37

ولا نخاف منها، قال تعالى: ﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُواْ الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّيْنَ أَرْبَابًا﴾[176].

من الشرك عبادة الأَنْبِيَاءِ

الأنبياء هم عباد من البشر، اختارهم الله واصطفاهم، لدعوة الناس لتوحيده سبحانه، ولتبليغ رسالته وأمره لخلقه، فلا نعبدهم، ولا نسجد لهم، ولا ندعوهم، قال تعالى: ﴿**وَإِذْ قَالَ اللّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ**﴾[177].

من الشرك عبادة الجن، وعبادة الصَّالِحِينَ

قال الله تعالى: ﴿**أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ**﴾[178] وجاء في سبب نزولها حديث عبدِ اللهِ بنُ مَسعودٍ رضي الله عنه، قالَ: «كانَ نَفَرٌ مِنَ الإِنْسِ يَعْبُدُونَ نَفَرًا مِنَ الجِنِّ، فَأَسْلَمَ النَّفَرُ مِنَ الجِنِّ وَاسْتَمْسَكَ الإِنْسُ بعِبَادَتِهِمْ، فَنَزَلَتْ: ﴿**أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إلى رَبِّهِمُ الوَسِيلَةَ**﴾»[179].

أمر الله الإنسَ والجِنَّ بِعبادَتِه وَحْدَه، فالصالحين منهم، يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ: أي يتنافسون في القرب من ربهم، بالأعمال الصالحة، وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ، فكان جماعة من الإنسِ يَعبُدونَ الجِنِّ، بَدلًا مِن عِبادةِ اللهِ سُبحانَه وتَعالى، فأسلَمَ هَؤلاءِ الجِنُّ

176- سورة آل عمران، الآية: 80، وانظر تفصيل الإيمان بالملائكة صفحة:

177- سورة المائدة، الآية: 116، وانظر تفصيل الإيمان بالأنبياء صفحة:

178- سورة الإسراء، الآية: 57.

179- رواه البخاري (4714)، ومسلم (3030)

الَّذينَ يَعبُدُهمُ الإنسُ، وفازوا برحمة الله وجنته، واستمر الإنس في عبادتهم، لكفرهم وضلالهم فهلكوا.
فلا نعبد الجن، ولا نعبد الصالحين، فلا فَضْلَ لِأحدٍ على أحدٍ إلَّا بالتَّقوى، ولا يعلم من هم الأولياء الصالحين حقا، إلا الله عز وجل.

من الشرك عبادة الأَشْجَارِ وَالأَحْجَارِ

كان للعرب في الجاهلية طواغيت اتخذوها آلهة يعبدونها من دون الله، ومن أشهرها: اللات والعزى ومناة، قال الله تعالى: ﴿**أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَى**﴾[180].
اللَّاتَ: قال ابن جرير: «صنمٌ بالطائفِ أو بنخلة عندَ سوقِ عكاظ، قال ابن عباس: كَانَ رَجُلًا يَلُتُّ السَّوِيقَ للحاج فمات فعكفوا على قبره، وقد كان لثقيف»[181].
العُزَّى: قال مجاهد: «هي شجرة بغطفان كانوا يعبدونها، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد فقطعها»[182].
مناة: هي صنم، قال ابن جرير: «فكانت بالمشلل عند قديد، بين مكة والمدينة وكانت خزاعة والأوس والخزرج في جاهليتها يعظمونها»[183].
فلا نعبد شجر، ولا حجر، ولا نتبرك به، ولم يسمح لنا إلا بتقبيل الحجر الأسود، قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «وَاللَّهِ، إنِّي لأُقَبِّلُكَ، وإنِّي أَعْلَمُ أنَّكَ حَجَرٌ، وَأنَّكَ لا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ، وَلَوْلَا أنِّي رَأَيْتُ رَسولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ قَبَّلَكَ ما قَبَّلْتُكَ»[184]: فعلمنا رضي الله عنه أننا لا نقبَّله من أجل طلب البركة منه، وإنما نقبَل الحجر الأسود تأسيًا بالنبي ﷺ، لا لأنه ينفعنا أو يضرُّنا، فالضر والنفع بيد الله عز جلَّ وحده.

180- سورة النجم، الآيتين: 19 و20
181- تفسير ابن كثير، سورة النجم، الآية: 19
182- تفسير البغوي، سورة النجم، الآية، 19
183- تفسير ابن كثير، سورة النجم، الآية: 20
184- رواه مسلم (1270)

من ضيع التوحيد فقد أفسد دينه

من دعا مع الله إلهًا آخر، فقد أفسد دينه، وأخرج نفسه من الإسلام، وصار مرتدًا وحبط عمله، قال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ**﴾[185].

الشرك أعظم ظلم

فقد عدّ الله عز وجل الشرك به ظلمًا للنفس عظيم، قال تعالى: ﴿**إِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ**﴾[186] عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال لمَّا نزلت: «الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ[187] شَقَّ ذلِكَ علَى المسلِمينَ فقَالوا: يا رسولَ اللَّهِ وأيُّنا لا يظلِمُ نفسَهُ؟ قالَ: ليسَ ذلِكَ إنَّما هوَ الشِّركُ ألَم تسمَعوا ما قالَ لقمانُ لابنِهِ: يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ»[188].

وما خلقنا سبحانه إلا لعبادته، قال الإمام القرطبي: «وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ والمعنى: وما خلقتُ أهل السعادة من الجن والإنس إلا ليوحدون...وأعظم ذنب عُصِيَ الله عز وجل به هو الشرك به، وكفى بالشرك بالله إثما وشرا أنَّ الله لا يغفره»[189].

الشرك لا يغفره الله إلا بالتوبة النصوح

من أضرار الشرك بالله، أنه لا يغفر إلا بالتوبة النصوح، فمن مات مصرا عليه حرَّم عليه الجنة، وأوجب عليه الخلود في النار، قال تعالى: ﴿**إِنَّ**

185- سورة الزمر، الآية: 65

186- سورة لقمان، الآية: 13

187- سورة الأنعام، الآية: 82

188- رواه البخاري (3360)، ومسلم(124)

189- تفسير الإمام القرطبي، سورة الذريات، الآية: 56

اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا﴾[190].

المؤمن يخشى على نفسه الشرك

من الأمور الخطيرة التي نبّه الإسلام من الوقوع فيها، الشرك، فقد يقع فيه المرء من دون قصدٍ، وقد كان نبي الله إبراهيم عليه السلام يسأل ربه أن ينجيه منه: ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الأَصْنَامَ﴾[191] قال بعض السلف: «من يأمن من البلاء بعد خليل الله إبراهيم»[192] فإذا كان خليل الله، وأبو الأنبياء عليه السلام يخاف على نفسه الشرك، فيجب أن يكون المؤمن أشد خشية من الوقوع فيه، وأن يزيد دعاؤه، وابتهاله لربه، أن ينجيه منه، وقد علمنا النبي دعاء لذلك قال ﷺ: «يا أبا بكرٍ، لَلشِّركُ فيكم أخْفى من دبيبِ النَّملِ والذي نفسي بيدِه، لَلشِّركُ أخْفى من دَبيبِ النَّملِ، ألا أدُلُّك على شيءٍ إذا فعلتَه ذهب عنك قليلهُ وكثيرهُ؟ قل: اللهم إني أعوذُ بك أن أشرِكَ بك وأنا أعلمُ، وأستغفِرُك لما لا أَعلمُ»[193].

لا يجوز الاستغفار للمشرك بعد موته

فمن أصر على الكفر، ومات مشركا، فلا يجوز الاستغفار له، ولو كان من أولي القربى: قال عز وجل: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾[194] ولم يؤذن للنبي أن يستغفر لأمه لأنها ماتت

190- سورة النساء، الآية: 48.

191- سورة إ براهيم، الآية: 35

192- جامع البيان، المعروف بتفسير الطبري، سورة إ براهيم، الآية: 35

193- أخرجه أبو يعلى (60)، وابن حبان (130/3)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (3731) من حديث معقل بن يسار رضي الله عنه

194- سورة التوبة، الآية: 113

قبل الإسلام: قال ﷺ: «اسْتَأْذَنْتُ رَبِّي أنْ أسْتَغْفِرَ لِأُمِّي فَلَمْ يَأْذَنْ لِي، واسْتَأْذَنْتُهُ أنْ أزُورَ قَبْرَها فأذِنَ لِي»[195].

عيسى عليه السلام حذر قومه من الشرك

أخبر المسيح عليه السلام قومه بأنه عبد لله ورسوله، وأنه ليس إله، ولا ابن إله، وحذرهم من الشرك، ولكنهم غيروا دينه، فجعلوه إله، وابن إله، قال تعالى: ﴿**لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ**﴾[196].

الشرك يحبط العمل

قال تعالى: ﴿**وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾[197] قال الإمام السعدي: «فإن الشرك محبط للعمل، موجب للخلود في النار. فإذا كان هؤلاء الصفوة الأخيار، لو أشركوا وحاشاهم لحبطت أعمالهم، فغيرهم أولى»[198].

مثل المشرك بالله كمثل الذي خر من السماء

ضرب الله مثلا للمشرك في بُعْده عن التوحيد وفي سقوطه إلى حضيض الشرك، بالذي يسقط من السماء: قال تعالى: ﴿**وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ ٱلرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ**﴾[199] المشرك هالك لا محالة، ومثله كالذي يسقط من السماء، فإما أن تخطفه الطير فتقطع أعضاءه، وإما أن يسقط في مكان سحيق بعيد، فلا يصل إليه بحال. قال الإمام السعدي: «كذلك

195- رواه مسلم (976) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه

196- سورة المائدة، الآية: 172

197- سورة الأنعام، الآية: 88

198- تفسير الإمام السعدي، سورة الأنعام، الآية:88

199- سورة الحج، الآية: 31



المشرك إذا ترك الاعتصام بالإيمان تخطفته الشياطين من كل جانب، ومزقوه، وأذهبوا عليه دينه ودنياه»[200].

الذين تدعونهم لا يسمعونكم ولا يجيبون

وهؤلاء الذين تدعونهم من دون الله لا يسمعونكم، ولا يجيبون دعاؤكم، وسيبرئون منكم يوم القيامة، كما قال تعالى: ﴿**إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ**﴾[201] قال الإمام السعدي: «ومع هذا إِنْ تَدْعُوهُمْ لا يسمعوكم لأنهم ما بين جماد وأموات وملائكة، مشغولين بطاعة ربهم وَلَوْ سَمِعُوا على وجه الفرض والتقدير مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ لأنهم لا يملكون شيئا، ولا يرضى أكثرهم بعبادة من عبده، ولهذا قال: وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ أي: يتبرأون منكم... وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ: لا أحد ينبئك، أصدق من الله العليم الخبير... الذي لا يستحق شيئا من العبادة سواه، وأن عبادة ما سواه باطلة متعلقة بباطل، لا تفيد عابده شيئا»[202].

المشركون هم أضل خلق الله

قال الله تعالى: ﴿**وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ**﴾[203] قال الإمام القرطبي: قوله تعالى: «وَمَنْ أَضَلُّ، أي: لا أحد أضل وأجهل مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَامَةِ: وهي الأوثان، وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ، يعني: لا يسمعون ولا يفهمون»[204].

200- تفسير الإمام السعدي، سورة الحج، الآية: 31

201- سورة فاطر، الآية: 14

202- تفسير الإمام السعدي، سورة فاطر، الآية: 14

203- سورة الأحقاف، الآيتين: 5 و 6

204- الجامع لأحكام القرآن، الإمام القرطبي، سورة الأحقاف، الآيتين: 5 و 6



آلهتهم التي يعبدونها، عدوا لهم يوم القيامة

﴿وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِّيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾[205] يخبر تعالى عن الكفار المشركين بربهم: «أنهم اتَّخَذُوا من دونه آلهة، لتكون تلك الآلهة عِزًّا يعتزون بها ويستنصرونها، ثم أخبر أنه ليس الأمر كما زعموا، ولا يكون ما طمعوا، فقال: كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ أي: يوم القيامة، وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا... قال قتادة: قرناء في النار، يلعن بعضهم بعضا، ويكفر بعضهم ببعض، وقال السدي :الخصماء الأشداء في الخصومة»[206].

المشركون حسابهم عند ربهم

قال الله تعالى: **﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾**[207] قال الإمام الشنقيطي: البرهان: «الدليل الذي لا يترك في الحق لبسا... فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ قد بين أن حسابه الذي عند ربه، لا فلاح له فيه، بقوله بعده: إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ وأعظم الكافرين كفرا هو من يدعو مع الله إلها آخر، لا برهان له به، ونفي الفلاح عنه يدل على هلاكه وأنه من أهل النار...»[208]

205- سورة مريم، الآيتين: 81 و 82

206- تفسير بن كثير، سورة مريم، الآيتين: 81 و 82

207- سورة المؤمنون، الآية: 117

208- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين الشنقيطي، سورة المؤمنون، الآية: 117



القسم الثالث:
التحذير من الشرك في السنة المطهرة

ورد التحذير من الشرك في السنة المطهرة في كثير من أحاديث النبي ﷺ:

الشرك أعظم الموبقات

أخطر المحرمات وأعظمها هو الوقوع في الشرك الأكبر، فهو يحبط جميع الأعمال، ولا يغفره الله تعالى إلا بالتوبة، قال رسول الله ﷺ: «اجْتَنِبُوا السَّبْعَ المُوبِقاتِ، قالوا: يا رَسولَ اللَّهِ وما هُنَّ؟ قالَ: الشِّرْكُ باللَّهِ، والسِّحْرُ، وقَتْلُ النَّفْسِ الَّتي حَرَّمَ اللَّهُ إلَّا بالحَقِّ، وأَكْلُ الرِّبا، وأَكْلُ مالِ اليَتِيمِ، والتَّوَلِّي يَومَ الزَّحْفِ، وقَذْفُ المُحْصَناتِ المُؤْمِناتِ الغافِلاتِ»[209] اجتَنِبوا: اتركوا، واحذروا، وابتعدوا. المُوبِقاتِ: الذُّنوبُ المهلِكاتُ؛ وسُمِّيت بذلك لأنَّها تُهلِكُ صاحبَها في الدُّنيا، وتدخله للنَّارِ في الآخرة.

الشرك أكبر الكبائر

الشرك الأكبر هو أخطر الذنوب والمحرمات، وهو داخل في الكبائر، بل هو أعظمها وأكبرها، قال رسول الله ﷺ: «ألا أُنَبِّئُكُمْ بأَكْبَرِ الكَبائِرِ قُلْنا: بَلَى يا رَسولَ اللَّهِ، قالَ: الإشْراكُ باللَّهِ، وعُقُوقُ الوالِدَيْنِ، وكانَ مُتَّكِئًا

209- رواه البخاري (2766)، ومسلم (89) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه



فَجَلَسَ فقالَ: ألا وقَوْلُ الزُّورِ، وشَهادَةُ الزُّورِ، ألا وقَوْلُ الزُّورِ، وشَهادَةُ الزُّورِ فَما زالَ يقولُها، حتَّى قُلتُ: لا يَسْكُتُ»[210].

أقبح الذنوب وأعظمها

أعظم الذنوب قبحًا، وأشدها إثمًا، أن يجعل الإنسان لله شريكًا، يعبده ويلجأ إليه، ويتوكل عليه، ويترك عبادة الخالق: فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم أيُّ الذنب أعظم؟ قال: «أن تجعل لله نِدًّا، وهو خَلَقَكَ» قلت: ثم أَيٌّ؟ قال: «ثم أن تقتل ولدك خَشْيَةَ أن يأكل معك» قلت: ثم أَيٌّ؟ قال: «ثم أن تُزَانِي حَلِيْلَةَ جَارِكَ»[211] أن تجعل لله نِدًّا: أن تجعل لله مثيل ونظير.

الشرك ظلم عظيم

وهل هناك ظلم أعظم، من أن يترك الإنسان، ربه، وخالقه، ورازقه، وميسر أمره كله، ويعبد غيره، فيترك الخالق القادر، ويعبد المخلوق الضعيف: عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «لمَّا نزلت: الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ، شَقَّ ذلِكَ علَى المسلِمينَ فقَالوا: يا رسولَ اللَّهِ وأيُّنا لا يظلِمُ نفسَهُ؟ قالَ: ليسَ ذلِكَ إنَّما هوَ الشِّركُ ألَم تسمَعوا ما قالَ لقمانُ لابنِهِ: يَابُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيم»[212].

لَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ: لم يخلطوا إيمانهم بالشرك، وهو أعظم الظلم.

210- رواه البخاري (5976) من حديث أبي بكرة رضي الله عنه

211- رواه البخاري (4477)، ومسلم (86)

212- رواه البخاري (3360)، ومسلم (124)

حذرنا الله عزَّ وجلَّ من الشرك وبين لنا عَظيمِ خَطرِه

قال رسول الله ﷺ: «يقولُ اللَّهُ تَبارَكَ وتَعالَى لأَهْوَنِ أهْلِ النَّارِ عَذابًا: لو كانَتْ لكَ الدُّنْيا وما فيها، أكُنْتَ مُفْتَدِيًا بها؟ فيَقولُ: نَعَمْ، فيَقولُ: قدْ أرَدْتُ مِنْكَ أهْوَنَ مِن هذا وأَنْتَ في صُلْبِ آدَمَ: أنْ لا تُشْرِكَ، أحْسِبُهُ قالَ: ولا أُدْخِلَكَ النَّارَ، فأبَيْتَ إلَّا الشِّرْكَ»[213].

أكُنْتَ مُفْتَدِيًا بها: أكنت مخلصا نفسك من النار بدفعها كلها (الدنيا وما فيها) قد أردْت مِنْك أَهْون من هَذَا: أَي طلبت مِنْك وأمرتك بأقل من هذا.

الشرك يدخل صاحبه النار

من عاش مشركا، ثم مات على شركه، فهو في النار، قال رسول الله ﷺ: «مَن مَاتَ وهْوَ يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ نِدًّا دَخَلَ النَّارَ»[214].

ندًّا: الند هو الشبيه والنظير.

من أشرك تركه الله وشركه

لا يقبل الله تعالى من الأعمال، إلا ما كان خالصا له، وأريد به وجهه: قال رسول الله ﷺ: «قال اللهُ تعالَى: «أنا أغْنَى الشُّركاءِ عنِ الشِّركِ، مَنْ عمِلَ عملًا أشركَ فيه معِيَ تركتُهُ وشِركَهُ»[215].

مَنْ عمل عملا أشرك معي فيه غيري: قصد بعمله غيري مِن المخلوقين.
تركتُه وشِرْكَه: لم أقبل عمله، ولم أعطِه ثَوابًا عليه، ويكتب عليه إثم.

213- رواه البخاري (3334)، ومسلم (2805) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه

214- رواه البخاري (4497)، ومسلم (92) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه

215- رواه مسلم (2985) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه

الشرك يحبط العمل ويمنع قبوله

من عمل عملا لله، ولكنه أشرك معه غيره فيه، فلا ثواب له عند الله، قال رسول الله ﷺ: «إذا جمع اللهُ الناسَ يومَ القيامةِ، ليوم لا ريبَ فيه، نادَى منادٍ: مَن كان أشركَ في عملٍ عمله للهِ أحدًا، فليطلبْ ثوابَه من عندِ غيرِ اللهِ، فإنَّ اللهَ أغنى الشركاءِ عن الشركِ»[216].

المعنى: مَن عَمِل عمَلًا دونَ إخلاصٍ، أو مع إشراكِ غيرِ اللهِ فيه، فعمله مَردودٌ عليه، غير مقبول، ويوم القيامة يقال له: اليوم لا أجر لك عند الله، اطلب ثوابَ عملك من عند ذلك الذي عبدته مع الله.

التوحيد يدخل صاحبه الجنة والشرك يدخل صاحبه النار

من مات على التوحيد فإنه يدخل الجنة، حتى لو عوقب بذنوب اقترفها، فإنه لا يخلد في النار، أما من مات على الشرك ولم يتب منه في الحياة الدنيا، فهذا لا يغفر الله له أبدا؛ وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه، قال: «أَتَى النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ رَجُلٌ فقالَ: يا رَسولَ اللهِ، ما المُوجِبَتانِ؟ فقالَ: مَن ماتَ لا يُشْرِكُ باللَّهِ شيئًا دَخَلَ الجَنَّةَ، ومَن ماتَ يُشْرِكُ باللَّهِ شيئًا دَخَلَ النَّارَ»[217].

ما الموجِبتانِ: «ما الخَصلتانِ منَ الخيرِ والشَّرِّ اللَّتانِ إذا فُعِلَتَا إحداهُما، أوجَبت لصاحِبِها الجَنَّةَ أو أوجَبَت له النَّارَ؟»[218].

المؤمن يخاف على نفسه من الشرك

الشرك أخفى من دبيب النمل، ومما يعيننا على توقيه وصية النبي ﷺ، فعن أبي مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ رضي الله عنه قَالَ: «خَطَبَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ فَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا هَذَا الشِّرْكَ فَإِنَّهُ أَخْفَى

216- رواه الترمذي (3154)، وابن ماجه (4203)، وأحمد (15876) من حديث أبي سعد بن أبي فضالة رضي الله عنه

217- رواه مسلم في صحيحه (93)

218- انظر: شرح الحديث في الموسوعة الحديثية، للدرر السنية.

مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ فَقَالَ لَهُ مَنْ شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَقُولَ: وَكَيْفَ نَتَّقِيهِ وَهُوَ أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: قُولُوا اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ نُشْرِكَ بِكَ شَيْئًا نَعْلَمُهُ وَنَسْتَغْفِرُكَ لِمَا لَا نَعْلَمُ»[219].

الشِّركُ أخْفَى مِن دَبيبِ النَّمل: وهذا مِنَ التَّحذيرِ؛ لِيَتحَرَّى السامِعُ البُعدَ عن هذا الشِّركِ الخَفيِّ، الذي هو الرِّياءُ في العَمَلِ، الذي يُنافي الإخلاصَ المَأمورَ به، وهذا الرِّياءُ يُحبِطُ العَمَلَ وسُمِّيَ شِركًا خَفيًّا؛ لِأنَّه يَكونُ غَيرَ ظاهِرٍ، بل يَكونُ في خَفايا النَّفسِ البَشَريَّةِ، ولا يَعلَمُه إلَّا اللهُ سُبحانَه وتَعالى[220].

السلامة من الشرك جزاؤها الجنة

عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «يقولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: مَن جَاءَ بالحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَأَزِيدُ، وَمَن جاءَ بالسَّيِّئَةِ فَجَزَاؤُهُ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا أَوْ أَغْفِرُ، وَمَن تَقَرَّبَ مِنِّي شِبْرًا تَقَرَّبْتُ منه ذِرَاعًا، وَمَن تَقَرَّبَ مِنِّي ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ منه بَاعًا، وَمَن أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً، وَمَن لَقِيَنِي بقُرَابِ الأرْضِ خَطِيئَةً لا يُشْرِكُ بي شيئًا، لَقِيتُهُ بمِثْلِهَا مَغْفِرَةً»[221].

«إنَّ إقبالَ اللهِ على العَبدِ، إذا أقْبَلَ العَبدُ عليه سُبحانَه وتَعالَى، يكونُ أكثَرَ مِن إقبالِ العَبدِ عليه، وَمن لَقيَني بقُرابِ الأرضِ: أي مِلؤُها، فلوْ جاءَ الإنسانُ إلى ربِّه وعليه مِن الذُّنوبِ ما تَمتلِئُ به الأرضُ، وهو لا يُشرِكُ باللهِ شيئًا، لَقيتُه بِمثلِها مَغفرة: أي لَقِيتُه بمِثلِ مِلءِ الأرضِ مَغفِرة»[222]

219- رواه أحمد (403/4)، والطبراني في الأوسط (10/4)، والألباني في صحيح الترغيب والترهيب (33).

220- انظر: شرح الحديث في الموسوعة الحديثية، للدرر السنية

221- رواه مسلم في صحيحه (2687)

222- انظر شرح الحديث في الموسوعة الحديثية، للدرر السنية

القسم الرابع:
أنواع الشرك

الشرك نوعان: شركٌ أكبرٌ، وشركٌ أصغرٌ.

الشرك الأكبر

هو أن يجعل الإنسان لله تعالى ندًّا، فيعبده ويطيعه كطاعته لله، وهذا النوع من الشرك، يخرج صاحبه من الإسلام، ويخلده في النار، إذا مات ولم يتب منه، قال تعالى: ﴿**إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ**﴾[223].

له صور عدة، منها:

شرك الدعاء: بأن يدعو غير الله تعالى، كالذي يدعو الأنبياء، والأولياء، والصالحين، أو يستغيث أو يستعين بهم، دون الله.

شرك النية: بأن يقصد بعمله غير الله عز وجل، كالذي يذبح أو ينذر للأموات أو للجن.

شرك المحبة: بأن يحبّ إنسانا كما يحب الله تعالى، محبة فيها خضوع، وطاعة، وذلّ.

شرك التوكّل: بأن يفوض الأمور إلى غير الله، ويعتمد عليه، ويرجوه.

شرك الخوف: بأن يعتقد أنّ غير الله تعالى، قادر على أن ينفعه أو يضره.

223- سورة المائدة، الآية: 72

الشرك الأصغر

كان رسول الله ﷺ يحذر من الشرك الأصغر، وأنه أخوف ما يخافه على أمته، قال ﷺ: «إنَّ أخْوَفَ ما أخافُ عليكم الشِّركُ الأصْغَرُ، قالوا: وما الشِّركُ الأصْغَرُ يا رسولَ اللهِ؟ قال: الرِّياءُ؛ يقولُ اللهُ عزَّ وجلَّ لهم يومَ القِيامةِ إذا جُزِيَ الناسُ بأعمالِهم: اذْهَبوا إلى الذين كنتُم تُراؤون في الدُّنيا فانظُروا هل تَجِدون عِندَهُم جزاءً؟!»[224].

الرِّياءُ: أن يعمل المسلم العمل الصالح ليس لوجه الله بل ليراه الناس فيحمدونه عليه، أو أن يعمل العمل الصالح يريد به وجه الله وأن يراه الناس فيحمدونه، والرياء مناف للإخلاص ومحبط للعمل.

الشرك الأصغر لا يخرج صاحبة من ملّة الإسلام، ولكنّه ينافي كمال التوحيد، وهو وسيلة للشرك الأكبر، له صور عدة، منها:

شرك قولي: كالحلف بغير الله تعالى.

شرك فعلي: كالطيرة، والتشاؤم.

شرك قلبي: كالرياء والسمعة، وإرادة الدنيا عند القيام ببعض الأعمال.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: «وأما الشرك الأصغر: فكيسير الرياء، والتصنع للخَلق، والحلف بغير الله تعالى، وقول الر جل ما شاء الله وشئت، وهذا من الله ومنك، وأنا بالله وبك، ومالي إلا الله وأنت، وأنا متوكل على الله وعليك، ولولا أنت لم يكن كذا، وقد يكون شركًا أكبر بحسب قائله ومقصده". وصور الشرك عدة، يصعب حصرها. قال ابن القيم: والشرك أنواع كثيرة، لا يحصيها إلا الله، ولو ذهبنا نذكر أنواعه لاتسع الكلام أعظم اتساع»[225].

224- رواه أحمد (23630)، والبيهقي في شعب الإيمان (6831) من حديث محمود بن لبيد الأنصاري رضي الله عنه

225- مدارج السالكين، ابن القيم (ج 1 ص 344)



الفصل الرابع

أفعال تنافي التوحيد





السحر

تعريف السحر

لغة: قال ابن منظور «الأُخْذَةُ، وكلُّ ما لَطُفَ مَأْخَذُه وَدَقَّ فهو سِحْرٌ، والجمع أَسحار وسُحُورٌ، وأَصل السِّحْر: صَرْفُ الشيء عن حقيقته إِلى غيره، فكأَنَّ الساحر لما أَرَى الباطلَ في صورة الحق وخَيَّلَ الشيءَ على غير حقيقته قد سحر الشيء عن وجهه أَي صرفه»[226].

اصطلاحًا: قال ابن قدامة: «هو عقد ورقى وكلام يتكلم به أو يكتبه أو يعمل شيئًا يؤثر في بدن المسحور أو قلبه أو عقله من غير مباشرة له، وله حقيقة؛ فمنه ما يقتل وما يمرض وما يأخذ الرجل عن امرأته فيمنعه وطأها، ومنه ما يفرق بين المرء وزوجه، وما يبغض أحدهما إلى الآخر أو يحبب بين اثنين»[227].

الساحر ملعون

السحر من أكبر الكبائر، وقد قرنه الله عز وجل بالشرك، وأخبر أن الساحر ملعون، قال تعالى: ﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى من الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَن يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ**

226- ابن منظور، لسان العرب (ج4 ص348)
227- المغني، ابن قدامة المقدسي (ج 8 ص150)



لَهُۥ نَصِيرًا﴾[228] قال عمر بن الخطاب وجماعة من علماء السلف: الجبت: السحر، والطاغوت: الشيطان[229].

السّاحر خارج من الدين

الساحر لا يتمكَّن من سحرِه إلا بالخروج من الدِّين، إما بالذَّبح للجن، أو الاستغاثة بهم، أو بإهانة كلام الله، أو غير ذلك من الموبقات، قال ابن تيمية رحمه الله: «يكتبون كلام الله بالنجاسة، وقد يقلبون حروف كلام الله، إما حروف الفاتحة، وإما حروف **﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾**[230] وإما غيرهما، إما بدمٍ وإما غيره، وإما بغير نجاسة، أو يكتبون غير ذلك مما يرضاه الشيطان، أو يتكلَّمون بذلك»[231].

السحر محرم

ثبت تحريم السحر، وأنه كفر أكبر، وورد التحذير منه في الكتاب والسنة، قال تعالى: **﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْۚ وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِي ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾**[232].

وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ: برأ الله سبحانه وتعالى سليمان عليه السلام، مما اتهموه به من السحر.

228- سورة النساء، الآيتين: 51 و 52

229- تفسير بن كثير، سورة النساء، الآيتين: 51 و 52

230- سورة الإخلاص، الآية: 1

231- الفتاوى، ابن تيمية (ج 19 ص 35).

232- سورة البقرة، الآية: 102

وَلَٰكِنَّ الشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ: وأن السحر من تعليم الشياطين لإضلال الناس وغوايتهم. وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنۡ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحۡنُ فِتۡنَة فَلَا تَكۡفُرۡ: وأن السِّحْر كفر.

وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ: وأن السحر يضر، ولا ينفع. ولهذا فهو محرم. وَلَقَدۡ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشۡتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنۡ خَلَٰق: أي ما له من نصيب، والمعنى: من اختار السحر وفعله فليس له نصيب في الآخرة، الذي لا حظ له في الآخرة هو الكافر.

وقال الله تعالى: ﴿**إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى**﴾[233] وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ: الساحر لا يربح ولا ينجح في الدنيا ولا في الآخرة.

السحر من أعظم الموبقات

قال رسول الله ﷺ: «اجتَنِبوا السَّبْعَ المُوبِقاتِ. قيل: يا رَسولَ اللَّهِ، وما هُنَّ؟ قال: الشِّركُ باللَّهِ، والسِّحرُ، وقَتْلُ النَّفسِ التي حرَّم اللهُ إلَّا بالحَقِّ، وأكْلُ الرِّبا، وأكْلُ مالِ اليَتيمِ، والتوَلِّي يومَ الزَّحفِ، وقَذْفُ المُحْصَناتِ الغافِلاتِ المُؤْمِناتِ»[234].

اجتَنِبوا السبع: أي احذروها، وابتعدوا عنها، ولا تقربوها.

المُوبِقاتُ: هي كبائر الذُّنوبُ المهلِكاتُ، تدخل صاحبها للنَّارِ، قال ابن حجر: «الموبقات: أَيِ الْمُهْلِكَاتِ، قَالَ الْمُهَلَّبُ: سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِأَنَّهَا سَبَبٌ لِإِهْلَاكِ مُرْتَكِبِهَا»[235].

233- سورة طه، الآية: 69

234- رواه البخاري (2766)، ومسلم (89) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه

235- فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني (ج 2 ص 182).

قال رسول الله ﷺ: «مَن اقتبَسَ شُعبةً مِن النُّجومِ، فقدِ اقتبَسَ شُعبةً مِن السِّحرِ، زاد ما زادَ»[236].

مَن اقتَبَس: من تعلّم وأخذ. عِلمًا مِنَ النُّجومِ: من علوم النّجوم المرتبطة بادّعاء علم الغيب وما سيقع في المستقبل كالأبراج ونحوها.

فقد اقتَبَس شُعبة: تعلّم جزءا، أو شيئا مِن السِّحرِ: ونحن نعلم أن السحر محرم، وهو كفر، ومن الموبقات المؤدية بصاحبها لجهنم.

236- أخرجه أبو داود (3905)، وابن ماجه (3726)، وأحمد (2000)، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما

النشرة

تعريف النشرة

لغة: النشرة بضم النون: فعلة من النشر، وهو التفريق.

اصطلاحًا: هي حَلُّ السِّحرِ بسِحرٍ مِثلِه، أو سُؤالُ الساحِرِ ليَحُلَّ له السِّحر. والنشرة من عمل أهل الجاهلية، وهي محرمة ولا تجوز، وهي من عملِ الشيطان، فلا يجوز العلاج بسؤال الكهنة والعرافين والمشعوذين، لأنهم كذبةٌ وفَجَرة، وهم يدَّعون علم الغيب، ويلبِّسون على الناس دينهم.

النشرة من عمل الشَيطان

عن جابرِ بنِ عبداللَّه رضي الله عنه قالَ: «سُئِلَ رسولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ علَيهِ وسلَّمَ عنِ النُّشرةِ، فقالَ: هوَ من عَملِ الشَّيطانِ»[237].

قال السهيلي: «النشرة من عمل الشيطان، هذا والله أعلم في النشرة التي فيها الخواتم والعزائم، وما لا يفهم من الأسماء العجمية»[238].

وقال ابن القيم: «النشرة حل السحر عن المسحور، وهي نوعان: أحدهما: حل سحر بسحر مثله، وهو الذي من عمل الشيطان، فإن السحر من عمله، فيتقرب إليه الناشر والمنتشر بما يحب، فيبطل عمله

237- رواه أبو داود (3868)، وأحمد (14135)، والألباني في صحيح أبو داود (3868).

238- الروض الأنف، السهيلي (ج 2 ص 373).

عن المسحور، الثاني: النشرة بالرقية والتعويذات والأدعية والدعوات المباحة فهذا جائز بل مستحب»[239].

239- ابن القيم، فتاوى إمام المفتين (ص207 و208)

العرافة والكهانة

تعريف العرافة والكهانة

العرافة: قال الإمام البغوي: «العراف: الذي يدعي معرفة الأمور بمقدمات يستدل بها على المسروق ومكان الضالة ونحو ذلك»[240]

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «العراف: اسمٌ للكاهن والمنجِّمِ والرمَّال ونحوهم ممن يتكلم في معرفة الأمور بهذه الطرق»[241].

الكهانة: ادعاء علم الغيب ومعرفة الأمور الغائبة، باستخدام الجنِّ، كالأخبار بما سيقع في الأرض، وما سيحصل في المستقبل، قال ابن قدامة: «الكاهن الذي له رئي من الجن تأتيه بالأخبار»[242] وقد أخبرنا الله عز وجل عنهم أنهم يستخدمون الشياطين الذين يسترقون السمع من السماء، قال تعالى: ﴿**هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَى مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ**﴾[243].

قال الحافظ بن كثير: «إنما ينزلون على من يشاكلهم ويشابههم من الكهان الكذبة، وهو الأفاك الأثيم، أي الفاجر في أفعاله. فهذا هو الذي

240- الزواجر عن اقتراف الكبائر للإمام البغوي (ج 2 ص 178)

241- مجموع الفتاوى (ج 35 ص 173)

242- المغني لابن قدامة (ج 9 ص 32)

243- سورة الشعراء الآيات 221-223

تنزل عليه الشياطين كالكهان وما جرى مجراهم من الكذبة الفسقة، فإن الشياطين أيضا كذبة فسقة»[244].
من أسمائهم: ومثل العراف والكاهن، نجد المنجم، والعزام، والرمال، والكتاب، والدقاز، وقارئ الكف، وقارئ الفنجان، وقارئ الورق، والطبيب الروحي، وأسماء أخرى ابتدعوها لخداع الناس، ما أنزل الله بها من سلطان.
العرافة والكهانة من السحر: قال الإمام أحمد رحمه الله تعالى: «والعرافة طرف من السحر، والساحر أخبث، لأن السحر شعبة من الكفر»[245].

العرافة والكُهَّانِ يتعاملون مع الشياطين، ويكذبون

حذرنا النبي ﷺ من سماع كلام الكهَّان والعرافين، والدَّجَّالين، لأنهم يكذبون، فلا يعلم الغيب، ولا يقدر على النّفع والضّرّ، إلا الله عزَّ وجلَّ، فيجب على المسلم أن يتعلّق بالله وحده، وأن يفوّض أمره إليه. فعن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها: «أَنَّهَا سَمِعَتْ رَسولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ يقولُ: إنَّ المَلَائِكَةَ تَنْزِلُ في العَنَانِ -وهو السَّحَابُ- فَتَذْكُرُ الأمْرَ قُضِيَ في السَّمَاءِ، فَتَسْتَرِقُ الشَّيَاطِينُ السَّمْعَ فَتَسْمَعُهُ، فَتُوحِيهِ إلى الكُهَّانِ، فَيَكْذِبُونَ معهَا مِئَةَ كَذْبَةٍ مِن عِندِ أنْفُسِهِمْ»[246].
أخبرنا رسول الله ﷺ في هذا الحديث: أنَّ المَلائِكةَ تَنزِلُ مِنَ السَّماءِ إلى العَنانِ أي السَّحابُ، فتَذكُرُ الأمْرَ الذي قضاه الله في السَّماءِ، في ذلك اليوم مِنَ الحَوادِثِ، فيُحدِّثُ بَعضُهم بَعضًا، فتَستَرِقُ الشَّياطينُ السَّمْعَ وتَختَلِسُه منهم، ثم تُوحيهِ إلى الكاهنِ؛ وهو يُخبِرُ به الناس ليوهمهم

244- تفسير بن كثير سورة الشعراء الآيات 221-223
245- المغني لعبد الله بن قدامة المقدسي (ج 9 ص 37)
246- رواه البخاري (3210) ومسلم(2228)



أنه يعلم الغيب، وما سيكون في المستقبل، ولكنه يزيد على هذا الخبر مِائةَ كَذْبَةٍ مِن عِندِه، فيصدقه الناس بسبب ذلك الخبر، الذي سُمع من السماء.

تحريم الذهاب إلى السحرة والعرافة

قال رسول الله ﷺ: «مَنْ أَتَى عَرَّافًا فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً»[247].

مُجَرَّدَ سؤال العراف، عن شيء من أمور الغيب، يَحْرِم به الإنسان ثوابَ الصلاة أربعين يومًا. ولهذا حرم العلماء قراءة الحظ، والبخت، والأبراج، التي تنشر في الصحف اليومية، لما فيها من ادعاء العلم بالغيب، وكذلك لا يجوز الاتِّصال بالقنوات الفضائية للسحرة والدجالين، لسؤالهم عما يحدث من مشاكل، وعلة التَحريم، أنهم من العرافين، وأنهم يدعون علم الغيب، وقد نهينا عنهم.

تصديق الكاهن والعراف كفر بالله عز وجل

قال رسول الله ﷺ: «من أتى كاهنًا، أو عرَّافًا، فصدقه بما يقول، فقد كفر بما أنزل على محمد صلَّى اللهُ عليه وسلَّم»[248].

في هذا الحديث زيادة على سؤال العراف، تصديقه له: أي اعتقاد صدق كلامه، وأنه يعلم الغيب، وهذا يؤدي للكفر، لأنه مخالف لما جاء في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿**قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ**﴾[249].

247- رواه مسلم (2230) عن بعض أزواج النبي ﷺ رضي الله عنهن.

248- أخرجه أبو داود (3904)، والترمذي (135)، والنسائي (9017)، وابن ماجه (639)، وأحمد (10167) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه

249- سورة النمل الآية 65



وقال رسول الله ﷺ: «ليس منا من تطيَّرَ أو تُطيِّر له، أو تَكَهَّن أو تُكهِّن له، أو سَحَر أو سُحِر له، ومَن عقد عقدةً، أو قال عقدَ عقدةً، ومَن أتَى كاهنًا فصدَّقه بما قال، فقد كفر بما أُنزِلَ على محمدٍ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم»[250].

ليس منا: أي ليس على طَريقتنا وسُنَّتِنا وشَرْعِنا، وهو دليل على تحريمها، وأنها من الكبائر. التَّطيُّرِ: أي التشاؤم، وسيأتي الحديث عنه. من تَكَهَّنَ أو تُكُهِّنَ له: مَن ادَّعى عِلْمَ الغيب باستخدام النجوم وغيرها، أو ذهب إلى مَن يَدَّعي علمَ الغيب كالكاهن والعراف، وأمثالهم، فَصَدَّقه بما يقول بادعائه علم الغيب. من سحر أو سحر له: مَن عَمِلَ السحر بنفسه، أو كَلَّف مَن يَعمل له سحرًا؛ لينفع به شخصا أو يضرَّه.

من أعمال العرافين والدجالين والمشعوذين

يذهب الجهلة من الناس إلى هؤلاء المشعوذين، فيكتبون لهم الحروز، والطلاسم الشركية، ويوهمونهم أنها تنفعهم وتحميهم. وقد يأمرونهم بأداء قرابين كذبح دجاجة صفتها كذا، أو تلطيخ أنفسهم أو حيطان بيوتهم بدمها، وقد يدعون أنهم يعرفون أسرار حياتهم، وما خفي عنهم من الغيب، وبعضهم يظهر نفسه كأنه ولي له كرامات وأعمال خارقة، وإنما هي أمور تخيلية لا حقيقة لها، كما أخبرنا الله سبحانه عما فعله السحرة مع موسى ﷺ: ﴿**قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى**﴾[251].

250- رواه البزار (3578)، والطبراني (355) من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه

251- سورة طه، الآية: 66



التطير

تعريف التطير

لغة: تَطَيَّرَ به، ومنه: تشاءَم وأَصلُه التفاؤل بالطَّيْرِ، ثم استُعمِلَ في كلما يُتفاءَل به ويُتشاءَم منه»[252] وقال ابن القيم: «التطير هو التشاؤم بمرئي أو مسموع»[253].

اصطلاحًا: هو التشاؤم بالطير، أو بشيء آخر، والتطير: ما أمضى الإنسان، أو رده، قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى: «وأصل التطير أنهم كانوا في الجاهلية يعتمدون على الطير، فإذا خرج أحدهم لأمر فإن رأى الطير طار يمنة، تيمن به واستمر، وأن رآه طار يسرة تشاءم به ورجع، وربما كان أحدهم يهيج الطير ليطير فيعتمدها، فجاء الشرع بالنهي عن ذلك»[254].

ذكر التطير في القرآن الكريم

ذكر الله سبحانه التطير في القرآن الكريم، في عدة مواضع، وكلها تفيد تشاؤم الكفار بأنبياء الله عليهم السلام ومن معهم من المؤمنين، منها قوله تعالى: ﴿**وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَلَا إِنَّمَا**

252- تعريف ومعنى تطير في معجم المعاني الجامع

253- مفتاح دار السعادة، لابن القيم (ج3 ص311)

254- فتح الباري، شرح صحيح البخاري (ج 10 ص 212)

﴿طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللهِ﴾[255] أخبرنا سبحانه عن قوم فرعون «إن أصابهم جدب وبلاء قالوا هذا من شؤم موسى وقومه»[256].

التطير الشرك

قال رسول اللَّهِ ﷺ: «مَن رَدَّتْهُ الطِّيَرَةُ من حَاجَةٍ فَقَدْ أَشْرَكَ»[257] قال ابن القيم رحمه الله: «من امتنع بها عما عزم عليه، فقد قرع باب الشرك، بل ولجه وبرئ من التوكل على الله، وفتح على نفسه باب الخوف والتعلق بغير الله»[258].

التطير من السحر

قال رسول الله ﷺ: «الْعِيَافَةُ وَالطِّيَرَةُ وَالطَّرْقُ مِنَ الْجِبْتِ»[259] قال المناوي رحمه الله تعالى: «العيافة: بالكسر زجر الطير، والطيرة: أي التشاؤم بأسماء الطيور، وأصواتها وألوانها وجهة مسيرها عند تنفيرها... والطرق: الضرب بالحصى والخط بالرمل، من الجبت: أي من أعمال السحر، فكما أن السحر حرام، فكذا هذه الأشياء، أو مماثل عبادة الجبت في الحرمة»[260].

بعض ما يتطير به الناس في هذا الزمن

بعض الناس يتطير ويتشاءم برؤية الأعور، وآخرون بيوم الأربعاء، أو يوم الثلاثاء أو الجمعة الموافق 13 من الشهر، أو بشهر شوال فلا يتزوجون ولا يدخلون فيه، وهذا من بقايا آثار الجاهلية. وآخرون

255- سورة الأعراف الآية 131

256- تفسير الإمام البغوي سورة الأعراف الآية 131

257- رواه الإمام أحمد (7045) من حديث عبد اللَّهِ بن عَمْرٍو رضي الله عنهما

258- مفتاح دار السعادة، لابن القيم (ج 3 ص 311)

259- رواه أحمد (15956) وابن أبي شيبة (884) وأبو داود (3989) وصححه ابن حبان (6131) من حديث قَبِيصَةَ بن مُخَارِقٍ رضي الله عنه

260- فيض القدير (ج 4 ص 395) ، مرقاة المفاتيح (ج 8 ص 398)



يتشاءمون بشهر صفر، وآخرون يتشاءمون ببعض الحيوانات كالحمار، والقط الأسود، أو ببعض الطيور كالغربان والبوم وغيرها، التشاؤم بكثرة الضحك، التشاؤم من ذكر كلمة الموت، التشاؤم من اللون الأسود، وغيرها كثير.

كفارة الطيرة

يمكن للمؤمن أن يزيل التطير بالتوكل على الله تعالى، وبأن يرد الطيرة حين تمر بذهنه، ولا يلتفت إليها، وبأن يدعو لله تعالى أن يجنبه شرها، بالدعاء الذي علمناه رسول اللَّهِ ﷺ: «مَن رَدَّتْهُ الطِّيَرَةُ من حَاجَةٍ فَقَدْ أَشْرَكَ، قالوا: يا رَسُولَ اللَّهِ ما كَفَّارَةُ ذلك؟ قال: أن يَقُولَ أَحَدُهُمْ: اللهم لَا خَيْرَ إلا خَيْرُكَ وَلَا طَيْرَ إلا طَيْرُكَ وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ»[261].

الفرق بين الطيرة والفأل

الطيرة محرمة منهي عنها، أما الفأل فمحبوب مندوب إليه، قال رسول الله ﷺ: «لَا عَدْوَى ولا طِيَرَةَ، وَيُعْجِبُنِي الْفَأْلُ الْكَلِمَةُ الْحَسَنَةُ الْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ»[262].

الفأل: ضد التشاؤم، وهو التفاؤل بالخير، و«هو إحساس الخير والظن به عند رؤية شيء أو سماعه»[263] والنبي ﷺ كان يحب الفأل، ويكره الطيرة، فالتطير ينافي كمال التوحيد، لأنه من فعل الشيطان، فهو يخوف الناس لتتعلق قلوبهم به، وهو مناف للتوكل على الله، الذي لا ينفع ولا يضر غيره.

261- رواه أحمد (7045) من حديث عبد اللَّهِ بن عَمْرٍو رضي الله عنهما
262- رواه مسلم في صحيحه (2224) من حديث أنس رضي الله عنه
263- مصطلحات الفقه ومعظم عناوينه الموضوعية (ص 361)



ترك التطير يدخل الجنة بغير حساب

ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «... يدخلُ مِن أمَّتي الجنَّةَ سبعونَ ألفًا بغيرِ حسابٍ...: همُ الَّذينَ لَا يسترقونَ ولَا يكتَوونَ، ولا يَتطيَّرونَ وعلى ربِّهم يتوَكَّلونَ»[264].

أعلمنا ﷺ أن الذين سيدخلون الجنة بغير حساب هم الذين لا يسترقون: لا يطلبون الرقية، أي لا يطلبون من أحد أن يقرأ عليهم، وَلا يَتَطَيَّرونَ: أي لا يَتشاءَمونَ بالطُّيورِ ونحوِها، كما كانت عادةُ النَّاسِ قبل الإسلامِ. ولا يَكْتَوُونَ: بالنَّارِ طَلَبًا للشِّفاءِ، ولا يَعتَقِدون أنَّ الشِّفاءَ يكونُ بالكَيِّ كما كان يعتَقِدُ أهلُ الجاهليَّةِ، وقد ورَدَ النَّهيُ عن الاكْتِواءِ. وعلى ربهم يتوكَّلونَ: يُفَوِّضون أمورَهم كلها لله تعالى.

بذلك استَحَقُّوا أن يَدْخلوا الجنَّةَ بغيرِ حِسابٍ. قال الإمام المناوي: «...إنَّ النَّبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم جعل الوَصْفَ الذي استحَقَّ به هؤلاء دُخولَها بغيرِ حِسابٍ تحقيقَ التوحيدِ وتجريدَه، فلا يَسألون غيرَهم أن يَرْقِيَهم، ولا يتطَيَّرون: لأنَّ الطِّيَرَةَ نوعٌ من الشِّركِ، وعلى رَبِّهم يتوّكَّلون: قَدَّم الظَّرفَ ليفيدَ الاختصاصَ، أي: عليه لا على غيره»[265].

264- رواه مسلم (220) من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما

265- فيض القدير، للإمام المناوي (92/4)

التمائم

تعريف التميمة

لغة: خيط، أو خرزات، كان العرب يعلقونها على أولادهم ظانين أنّها تدفع عنهم شرّ الجنّ، والعين، والحسد وسميت تميمة لاعتقادهم أنه بها يتم النفع ويدفع.

اصطلاحًا: كل ما علق على الإنسان، أو على الفرس، أو البعير، أو غيره خيفة العين، أو خيفة أمر لم ينزل به بعدُ.

أمثلة التمائم في هذا الزمن

يعمد كثير من الناس في هذا الزمن، لتعليق الخرز، والخيوط، وتعليق أشياء على صدورهم: مثل جلود صغيرة يجعلونها على رقابهم، أو في داخل ثيابهم، ويسمونها حجاب. وبعضهم؛ يعلقون في مداخل بيوتهم وعلى جدرانها؛ العين، والكف، أو رأس الحيوان، ونعل الفرس، وذيل السمكة، وغيرها كثير.

وبعضهم يعلّق على المرايا الأمامية، داخل سيارته: خرزات، أو سبحة، أو حدوة الفرس، أو غيرها من الأشكال، لاعتقادهم أنّها تجلب لهم خيرًا ونفعا، أو تدفع عنهم شرّ الجنّ، والعين، والحسد، والأمراض، وهذا كله باطل، وخرافات لا يقبلها العقل، ولم يأت بها الشرع.

تعليق التميمة من الشرك

عن عقبة بن عامر رضي الله عنه: «أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ أقبل إليه رهطٌ فبايعَ تسعةً وأمسك عن واحدٍ فقالوا يا رسولَ اللهِ: بايعتَ تسعةً وتركتَ هذا؟ قال: إنَّ عليه تميمةً فأدخل يدَه فقطعها، فبايعَه وقال: من علَّقَ تميمةً فقد أشركَ»[266].

رهط: جماعة. تميمة: ما يُربط أو يُعلَّق مِن الخَرَز وغيرِها لِدَفع العين أو الضرر.

معنى الحديث: بايع النبيّ ﷺ جماعة قدمت عليه، ولم يبايع أحدهم، وسُئل عن سببِ ذلك، فقال ﷺ: إنّ عليه تميمة، فأدخلَ الرجلُ يدَه لموضع التميمة وقَطَعَها فتَخلَّص منها، فبايعه النبي ﷺ عند ذلك، وقال مبيِّنا حكمَها: مَن علَّقَ تَميمة فقد أشرك.

من تعلق بها دون الله هلك

عن عمران بن حصين رضي الله عنه: «أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى رجلا في يده حَلْقَةٌ من صُفْرٍ، فقال: ما هذا؟ قال من الوَاهِنَةِ، فقال: انزعها فإنها لا تَزيدك إلا وَهْنًا؛ فإنك لو مُتَّ وهي عليك ما أفلحت أبدًا»[267].

معنى الحديث: رأى النبي ﷺ رجلا لابسًا حَلقةً من صُفْرٍ: حلقة من النحاس الأصفر، فسأله عن سبب لبسها؟ فقال من الوَاهِنَةِ: لتعصِمه من الألم ظنا منه أنها تنفع في ذلك، فأمره بطرحها، وأخبره أنها لا تنفعه في شفاء مرضه، بل تضره وتزيده مرضا، وهو التعلق بها من دون الله، وأعظم من ذلك لو استمرتْ عليه إلى الموت؛ حُرم الفلاح في الآخرة.

266- رواه الإمام أحمد (17422)، والحاكم(7513)، والألباني في السلسلة الصحيحة (889).

267- رواه أحمد وابن ماجه (3531)، والبزار(3547) ، وابن حبان (6088).

التمائم من عمل الشيطان

اتفق العلماء على تحريم تعليق التمائم، ومن اعتقد أنها سبب لجلب النفع، ودفع الضر، وقع في الشرك. فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبيّ ﷺ قال: «إنَّ الرُّقى، والتَّمائمَ، والتِّوَلةَ شِركٌ. قالَت: قلتُ: لِمَ تقولُ هذا؟ واللَّهِ لقد كانَت عيني تقذفُ وَكُنتُ أختلفُ إلى فلانٍ اليَهوديِّ يرقيني فإذا رقاني سَكَنت، فقالَ عبدُ اللَّهِ: إنَّما ذاكَ عمَلُ الشَّيطانِ كانَ ينخسُها بيدِهِ فإذا رقاها كفَّ عنها، إنَّما كانَ يَكْفيكِ أن تَقولي كما كانَ رسولُ اللَّهِ ﷺ يقولُ: أذهِبِ الباسَ ربَّ النَّاسِ، اشفِ أنتَ الشَّافي، لا شفاءَ إلَّا شفاؤُكَ شفاءً لا يغادرُ سَقمًا»[268].

الرقى: الرُّقية التي تكون بألفاظ لا يعرف معناها أو بأسماء الشياطين أو ما أشبه ذلك لا تجوزُ شرعًا[269]. التولة: نَوعٌ من السِّحرِ، وقيل: هي ما يُحبِّبُ المرأةَ إلى زَوجِها.

معنى الحديث: قالت زَينبُ امْرأةَ عبدِ اللهِ بْنِ مَسعود رضي الله عنه: أنَّ عَبدَ اللهِ رأى في عُنُقي خَيطًا، فقال: ما هذا؟ فقُلتُ: خَيطٌ رُقِيَ لي فيه، قالتْ: فَأخَذَه فَقَطَعَه، قُلتُ: ...واللهِ لقدْ كانت عَيْني تَقذِفُ أي: تُرْمَى بما يُهيِّج الوَجَعَ، وكُنتُ أخْتَلِفُ أي: أتَردَّدُ بالرَّواحِ والمَجيءِ، إلى فُلانٍ اليَهوديِّ يَرقيني، فإذا رَقاني سَكَنَتْ أي: هَدأتِ العَينُ من وَجعِها، فقال: إنَّما ذاك عَملُ الشَّيطانِ، أي: من فِعلِ الشيطان، أي أنَّ الوَجعَ الذي كان في عَينَيكِ لم يكُنْ وجعًا في الحَقيقةِ، بل ضَرْبٌ من ضَرباتِ الشَّيطانِ ونَزغاتِه، كان يَنخَسُها بِيدِه، أي: يَطعُنُها ويَضرِبُها بِيدِه، فإذا رَقاها كَفَّ عنها، أي: تَوقَّف الشَّيطانُ عن نَخسِها وتَركَ طَعنَها، إنَّما

268- أبو داود (3883)، وابن ماجه (3530)، وأحمد (3615) والألباني في صحيح أبي داود (3883).

269- سيأتي الحديث عن الرُّقي بالتفصيل انظر ص: 117

كان يَكفيكِ أنْ تَقولي كما كان رَسولُ اللهِ ﷺ يقولُ: أَذْهِبِ الباسَ، رَبَّ النَّاسِ وهو دُعاءٌ للهِ بأنْ يُزيلَ الوَجعَ والألمَ والشِّدَّةَ، اشْفِ أنت الشَّافي، لا شِفاءَ إلَّا شِفاؤُكَ، شِفاءً لا يُغادِرُ سَقَمًا، أي: يكون شِفاءً تامًّا لا يَبقَى معه أثَرٌ لمرَضٍ أو ألمٍ»[270].

حكم تعليق التمائم من القرآن الكريم

اختلف العلماء في جواز تعليق التمائم التي من القرآن، فمنهم من أجاز لبسها، ومنهم من منعها، والقول بالنهي أرجح لنهي النبي ﷺ عن ذلك، ولسدِّ الذريعة.

قال العلامة حافظ الحكمي رحمه الله: «لا شك أن منع ذلك أسد لذريعة الاعتقاد المحظور لا سيما في زماننا هذا؛ فمن ذلك أنهم يكتبون في التعاويذ آية أو سورة أو بسملة أو نحو ذلك ثم يضعون تحتها من الطلاسم الشيطانية ما لا يعرفه إلا من اطلع على كتبهم، ومنها أنهم يصرفون قلوب العامة عن التوكل على الله عز وجل إلى أن تتعلق قلوبهم بما كتبوه»[271].

فكيف نقول نحن في القرن الواحد والعشرين، وقد قل العلماء، وكثر الجهل، والبعد عن الدين الصحيح، فالواجب على المسلم تجنبها، ومن عنده شيئًا منها أو شيء يشبهها فعليه أن يتخلص منه، وأن يتوب إلى الله تعالى.

270- انظر شرح الحديث بالموسوعة الحديثية، الدرر السنية

271- معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول، للحافظ الحكمي (ج 2 ص 510 -512)

الرُّقى

تعريف الرُّقْيَة

لغة: الرُّقْيَةُ: اسْمٌ مِنَ الرَّقْيِ يُقَال رَقَى الرَّاقِي الْمَرِيضَ يَرْقِيهِ. قَال ابْنُ الأْثِيرِ: «الرُّقْيَةُ الْعَوْذَةُ الَّتِي يُرْقَى بِهَا صَاحِبُ الآْفَةِ كَالْحُمَّى وَالصَّرْعِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الآْفَاتِ لِأَنَّهُ يُعَاذُ بِهَا وَمِنْهُ قَوْله تَعَالَى: ﴿**وَقِيل مَنْ رَاقٍ**﴾[272] أَيْ مَنْ يَرْقِيهِ، تَنْبِيهًا عَلَى أَنَّهُ لَا رَاقِيَ يَرْقِيهِ فَيَحْمِيهِ، وَرَقَيْتُهُ رُقْيَةً أَيْ عَوَّذْتُهُ بِاللَّهِ، وَالِاسْمُ الرُّقْيَا، وَالْمَرَّةُ رُقْيَةٌ، وَالْجَمْعُ: رُقًى»[273].

اصطلاحًا: «الرُّقْيَةُ الشَّرعيةُ التَّعْويذُ بِالآياتِ القُرْآنيَّةِ والأَدْعِيَةِ المشروعةِ، وهي مِن الوَسائِلِ العَظِيمَةِ والنّافِعَةِ في العِلاجِ النَّبَوِيِّ، وهي ما يُقْرَأُ على المَرِيضِ مِن الأَدْعِيَةِ والأَذْكارِ لِطَلَبِ الشِّفاءِ مِن اللهِ تعالى»[274].

أقسام الرُّقْيَة

الرقية قسمان: رقية مشروعة، ورقية محرمة.

الرُّقْيَة الشرعية

الرقية المشروعة، هي الرقية الشرعية، أي ما كان بالقرآن والأدعية النبوية والأذكار، وهي مشروعة بالكتاب والسنة الصحيحة، وهي نوع

272- سورة القيامة، الآية: 27.

273- من الموسوعة الفقهية الكويتية (23/96).

274- موسوعة المصطلحات الإسلامية مادة: رقى.

من الدعاء، الذي أمرنا الله به، قال تعالى: ﴿**وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ**﴾[275] وهي مِن الوَسائِلِ النّافِعَةِ في العِلاجِ، قال ﷺ «اعْرِضُوا عَلَيَّ رُقَاكُمْ، لَا بَأْسَ بِالرُّقَى مَا لَمْ يَكُنْ فِيهِ شِرْكٌ»[276].

شروط الرُّقْيَة الشرعية

اشترط علماء الإسلام، لجواز الرقى ثلاثة شروط، ثبتت في الأحاديث النبوية: قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى: «وقد أجمع العلماء على جواز الرقى عند اجتماع ثلاثة شروط: أن يكون بكلام الله تعالى أو بأسمائه وصفاته، وباللسان العربي أو بما يعرف معناه من غيره، وأن يعتقد أن الرقية لا تؤثر بذاتها بل بذات الله تعالى»[277].

الشرط الأول: أن تكون بالقرآن، أو بذكر الله تعالى، وبالأدعية المأثورة.

الشرط الثاني: أن تكون باللغة العربية، أو بلغة مفهومة، فلا تحل الرقية بلغة غير مفهومة، خشية أن تحتوي على شيء من السحر، أو الكفر، من حيث لا ندري.

الشرط الثالث: أن يعتقد الراقي، والمرقي، أنّ الرقية مجرد سبب، ولا تؤثر إلا بإذن الله تعالى.

شروط الراقي

اشترطوا في الراقي: أن يكون من أهل التقوى والدين، وأن ينصحهم بالتوبة إلى الله، وترك الذنوب والمعاصي، وأن يذكرهم بأن الشفاء بيد الله تعالى وحده، وأن الراقي مجرد سبب فقط.

275- سورة غافر، الآية: 60.

276- رواه مسلم في صحيحه (2200) من حديث عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ الْأَشْجَعِيِّ رضي الله عنه

277- فتح الباري شرح صحيح البخاري (195/10).



المؤمن يرقي نفسه

الأفضل أن يرقي المسلم نفسه بنفسه، كما كان يفعل النبي ﷺ، ولأنه من شروط الذين يدخلون الجنة بغير حساب: الذين لا يسترقون، أي لا يطلبون من غيرهم الرقية[278] ولكن إن احتاج للرقية ولم يستطع أن يفعل ذلك بنفسه، فلا حرج أن يطلب الرقية من غيره بشرط أن يكون معتقدًا أن الشفاء بيد الله تعالى وحده، فقد ثبت عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رضي الله عنها: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَأَى فِي بَيْتِهَا جَارِيَةً فِي وَجْهِهَا سَفْعَةٌ، فَقَالَ: «اسْتَرْقُوا لَهَا، فَإِنَّ بِهَا النَّظْرَةَ»[279].

«في وَجْهِها سَفعَةٌ أيْ: سَوادٌ وشُحوبٌ. فإنَّ بها النَّظرةَ، أيِ: العَينَ»[280].

رقية المرأة

الأفضل أن ترقي المرأة نفسها، أو ترقيها امرأة مثلها، أو يرقيها زوجها أو أحد محارمها، فإن لم يوجد، فلا حرج في أن يرقيها أجنبي، بشرط أن تكون محتجبة، وألا يخلو بها، وألا يمس شيئًا من بدنها: قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى: «إني أحذر إخواني القراء من أن يضعوا أيديهم على أي موضع من بدن المرأة، لا مباشرة ولا من وراء حائل، وإذا أراد الله في قراءتهم خيرا: حصل بدون لمس»[281].

278- حديث يدخلُ مِن أمَّتي الجنَّةَ سبعونَ ألفًا بغيرِ حسابٍ سبق تخريجه، انظر التطير ص: 109

279- رواه البخاري (5739)، ومسلم (2197)

280- انظر شرح الحديث بالموسوعة الحديثية في الدرر السنية

281- فتاوى نور على الدرب: (2/22).



الرقية المحرمة

أجمع علماء الإسلام على تحريم الرقية التي فيها شرك واستغاثة أو استعاذة بغير الله، لقوله ﷺ «لا بأسَ بالرُّقى ما لم تكُنْ شِركًا»[282] وتحريم الرقى التي فيها استعانة بالجن، فقد ذم الله المشركين لاستعانتهم بالجن، واعتقاد قدرتهم على النفع والضر، قال تعالى: **﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾**[283] وتحريم الرقى التي فيها نوع من السحر، فلا يجوز الاستشفاء بساحر، وقد سئل النبي ﷺ عن النشرة وهي حل السحر، فَقَالَ: «هُوَ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ»[284] وعلى تحريم الرقى التي فيها ألفاظ كفر أو شرك، أو فيها تمتمات وكلام غير مفهوم، أو فيها استعمال لنجاسات، أو معاصي، أو فيها تعلق بالراقي، واعتقاد قدرته على الشفاء، فالشافي هو الله عز وجل.

282- سبق تخريجه انظر الرقية الشرعية في أقسام الرقية

283- سورة الجن، الآية: 6

284- سبق تخريجه، انظر النشرة ص: 103



الحَلِفُ واليمين

تعريف الحلف واليمين

لغة: «من فعل حَلَفَ، يَحلِف، حلْفًا، وحَلَفَ يَمِينًا: أقسم، وسُمِّيَ الحَلِفُ يَمينًا، لأَنَّهم كانوا إذا تحالَفوا ضَرَب كُلٌّ واحدٍ منهم يمينَه على يمينِ صاحِبِه»[285].

اصطلاحًا: «توكيدُ الحُكمِ بذِكرِ اسمِ اللهِ سُبحانَه وتعالى، أو صِفةٍ مِن صِفاتِه، على وَجهٍ مَخصوصٍ»[286].

قال الله تعالى: ﴿**مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ**﴾[287] فالإنسان محاسب على أقواله، خاصة ما تعلق منها بعقيدته ودينه، فيجب على المسلم التحرز مما يتلفظ به.

حكم الحلف بالله تعالى

الحلف بالله حق، وعلى صاحبه الالتزام بما حلف عليه، أو الكفارة إن كان أخل به، وإذا رأى أن عدم الالتزام أصلح، وأنه يكفر عن يمينه، فهو

285- انظر لسان العرب: لابن منظور (297/3)، وتهذيب اللغة: للأزهري (377،310/15)

286- انظر روضة الطالبين، للنووي (3/11)، والإقناع، للحَجَّاوي (329/4)، ومواهب الجليل، للحَطَّاب (4/397)

287- سورة ق، الآية: 18.



أفضل، لقول النبي ﷺ: «مَن حَلَفَ علَى يَمِينٍ، فَرَأَى غَيْرَهَا خَيْرًا منها، فَلْيَأْتِهَا، وَلْيُكَفِّرْ عن يَمِينِهِ»[288].

مَن حَلفَ يمينًا فَرَأَى غَيْرَهَا خَيْرًا منها: أي حلف ثُمَّ ظَهَر له أمرٌ آخر، أفضلُ مِن إبرارِ يَمينِه، فَلَيَفعَلْ ذلكَ الأمرَ، ويُكفِّرْ بعْدَ فِعلِه، مثاله: من حلَفَ لا يَأكُلُ شيئا معينا، ثم رأى بعد ذلك أن يأكله، فيجوز له أن يأكله، ثم يكفر عن يمينه.

الكفَّارةُ

هي على التَّرتيبِ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ، أو كسوتهم، أو تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ، أو صِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ، كما قال الله ﷻ: ﴿**لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ**﴾[289].

الحَلِفُ بغيرِ اللهِ تعالى محرم

نهى النبي ﷺ عن الحَلِف بغير الله عز وجل، وشدَّد في النهي عن ذلك في أحاديث كثيرة، منها: «مَن حَلَف بشَيءٍ دونَ اللهِ فقد أشرَكَ»[290] و«مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللَّهِ فَقَدْ كفرَ أو أَشْرَكَ»[291] و«مَنْ كَانَ حَالِفًا، فَلْيَحْلِفْ بِاللَّهِ أَوْ لِيَصْمُتْ»[292].

288- رواه مسلم (1650) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه

289- سورة المائدة، الآية: 89

290- أخرجه أحمد (329)، والألبانيُّ في سلسلة الصحيحة (70/5) من حديث عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ رضي الله عنه

291- رواه أبو داود (3251)، والترمذي (1535)، وأحمد(6072) ، وصححه الألباني في إرواء الغليل (8 / 189) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما

292- رواه البخاري (2679)، ومسلم (1646) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما



وأجمع علماء الإسلام على أن نهيه ﷺ عنه يفيد تحريمه، قال ابن عبد البر رحمه الله تعالى: «أجمع العلماء على أن اليمين بغير الله مكروهة، منهي عنها، لا يجوز الحلف بها لأحد»[293].

لا يجوز الحلف إلا بالله ﷻ

قال رسول الله ﷺ: «لا تحلِفوا بآبائِكم ولا بأمَّهاتِكم ولا بالأندادِ ولا تحلِفوا إلَّا باللهِ ولا تحلِفوا إلَّا وأنتم صادقونَ»[294].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: «فأما الحلف بالمخلوقات، كالحلف بالكعبة، أو قبر الشيخ، أو بنعمة السلطان، أو بالسيف، أو بجاه أحد من المخلوقين: فما أعلم بين العلماء خلافا أن هذه اليمين مكروهة، منهي عنها»[295].

فلا يجوز الحلف بذلك ولا الحلف: بالنبي، وبالكعبة، وبالقرآن، وبالآباء، وبالأبناء، وبالشرف، وبالجاه، وبالأمانة، وبالنعمة، وبتربة فلان، وبرأس فلان، وبالذمة، وبالصلاة، ونحوها..

والحِكمةِ من النهي عن الحلف بغير الله، أن الحلف يقتضي تعظيم المحلوف به، والعظمة إنَّما هي لله وحْدَه سبحانه، فلا يُحْلفُ إلَّا بالله، وبأسمائه وصفاته.

حكم الحلف بغير الله

بين علماء الإسلام أن الحلف بالله: قد يكون شركا أكبر، وقد يكون شركا أصغر.

شركا أكبر: الحلف بغير الله قد يكون شركا أكبر، إن اعتقد في المحلوف به من التعظيم ما يعتقده في الله، وجعله بمنزلة الله في القدرة على

293- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، لابن عبد البر (ج 14 ص 367).

294- أخرجه أبو داود (3248)، والنسائي(3769) ، والألباني في صحيح أبي داود (7249) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه

295- مجموع الفتاوى (35 / 243).

النفع والضر، كما يفعل بعض الذين يحلفون بالأولياء، وهم يعتقدون أنهم ينفعون ويضرون، وهذا من الشرك الأكبر.
قال الحافظ بن حجر رحمه الله تعالى: «فإن اعتقد في المحلوف به من التعظيم ما يعتقده في الله: حرم الحلف به، وكان بذلك الاعتقاد كافرا، وعليه يتنزل الحديث المذكور»[296].
شركا أصغر: الحلف بغير الله قد يكون شركا أصغر، محرّما لكن لا يخرج صاحبه من دائرة الإسلام، إذا لم يصل إلى هذا التعظيم. ولم يعتقد أنه ينفع أو يضر، قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى: «والحلف بغير الله شرك أكبر؛ إن اعتقد أن المحلوف به مساو لله تعالى في التعظيم والعظمة، وإلا، فهو شرك أصغر»[297] كمن أقسم بغير الله تعالى غير متعمد، مثل من تعود الحلف بغير الله، فصارت تسبق على لسانه من غير قصد منه، فهذا غير مؤاخذ، ويعد من اللغو، قال الله ﷻ: ﴿**لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ**﴾[298].
ومع ذلك: عليه أن يجتهد للتخلي عنها، لأننا، حتى لو قلنا أن الحلف بغير الله شرك أصغر، فهو من أكبر الكبائر، بل أشد، كما قال ابن القيم رحمه الله: «من حلف بغير الله، فقد أشرك: وقد قصّر ما شاء أن يقصر، من قال: إن ذلك مكروه، وصاحب الشرع يجعله شركا، فرتبته فوق رتبة الكبائر»[299].

296- فتح الباري، شرح صحيح البخاري، لابن حجر (ج 11 ص 531).
297- القول المفيد على كتاب التوحيد، للشيخ ابن عثيمين (214)
298- سورة البقرة، الآية: 225.
299- أعلام الموقعين عن ربِّ العالمين، لابن القيم (ج 6 ص 571 - 572).



الله عز وجل يقسم بما شاء من مخلوقاته

أقسم الله تعالى في القرآن الكريم بكثير من مخلوقاته: بالذاريات (الريح)، والمرسلات (الملائكة) والنازعات (الملائكة)، والفجر، والضحى، والعصر، وغيرها. والله تعالى يقسم بما شاء من خلقه، وأما المخلوق فلا يجوز له أن يَحْلِف ولا يُقْسِم إلا بربه سبحانه وتعالى: ﴿**لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ**﴾[300] قال الإمام القرطبي رحمه الله: «لله أن يقسم بما شاء من مخلوقاته من حيوان وجماد، وإن لم يُعلم وجه الحكمة في ذلك»[301].

وقال شيخ الإسلام رحمه الله: «إِنَّ اللَّهَ يُقْسِمُ بِمَا يُقْسِمُ بِهِ مِنْ مَخْلُوقَاتِهِ لِأَنَّهَا آيَاتُهُ وَمَخْلُوقَاتُهُ...وَنَحْنُ الْمَخْلُوقُونَ لَيْسَ لَنَا أَنْ نُقْسِمَ بِهَا بِالنَّصِّ وَالْإِجْمَاعِ»[302].

300- سورة الأنبياء، الآية: 23

301- الجامع لأحكام القرآن، للإمام القرطبي (237/19)

302- مجموع الفتاوى، لابن تيمية(290/ 1)





التوسل

تعريف التوسل

لغة: قال ابن منظور: «توسل إلى الله بوسيلة أي تقرب إليه بعمل، ووسل فلان إلى الله وسيلة، إذا تقرب إليه، والوسيلة هي القربة والدرجة والمنزلة عند الملك»[303].

اصطلاحًا: هو طلب حُصُولِ مَنفَعة أو دفع مَضَرَّةٍ من الله، بوساطة شيء، أو شخص، يعتقد علو شأنه عند الله تعالى. قال الله تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُون﴾**[304].

التوسل المشروع

التوسل المشروع ثلاثة أنواع وهي:

1 - التوسل إلى الله بأسمائه الحسنى وصفاته العليا، لقوله سبحانه: **﴿وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾**[305] ولورود أحاديث كثيرة للنبي بذلك، منها قوله ﷺ: «ما أصاب أحدًا قط همٌّ ولا حزنٌ، فقال: اللهمَّ إني عبدُك، وابنُ عبدِك، وابنُ أَمَتِك، ناصيتي بيدِك، ماضٍ فيَّ حكمُك، عدلٌ فيَّ قضاؤُك، أسألُك بكلِّ اسمٍ هو لك سميتَ به نفسَك، أو علَّمتَه

303- لسان العرب، لابن منظور (ج4 ص1497)

304- سورة المائدة، الآية: 35

305- سورة الأعراف، الآية: 180

أحدًا من خلقِك، أو أنزلتَه في كتابِك أو استأثرتَ به في علمِ الغيبِ عندَك، أن تجعلَ القرآنَ ربيعَ قلبي، ونورَ صدري وجلاءَ حزني وذَهابَ همِّي، إلا أذهبَ اللهُ همَّهُ وحزنَه، وأبدلَه مكانَه فرجًا قال: فقيل: يا رسولَ اللهِ ألا نتعلَّمُها؟ فقال بلى، ينبغي لمن سمعَها أن يتعلَّمَها»[306].

مثال التوسل بأسماء الله الحسنى: أن يقدّم العبد بين يدي دعاء الله تعالى الاسم المناسب لطلبه، كتقديم اسم الرحمان لطلب الرحمة: يقول يا رحمان ارحمني، والغفور لطلب المغفرة، يقول: يا غفور اغفر لي، ونحو ذلك.

2 - التوسل إلى الله بأعمالنا الصالحة، فأفضل ما يتقرب به العبد إلى ربه تعالى إيمانه وعمله الصالح، مثل:

قصة أصحاب الغار الثلاثة الذين نجوا بدعائهم الله، بأعمالهم الصالحة قال رَسُولَ اللهِ ﷺ: «انْطَلَقَ ثَلَاثَةُ نَفَرٍ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، حَتَّى آوَاهُمُ الْمَبِيتُ إِلَى غَارٍ، فَدَخَلُوهُ، فَانْحَدَرَتْ صَخْرَةٌ مِنَ الْجَبَلِ فَسَدَّتْ عَلَيْهِمُ الْغَارَ، فَقَالُوا: إِنَّهُ لَا يُنْجِيكُمْ مِنْ هذِهِ الصَّخْرَةِ إِلَّا أَنْ تَدْعُوا اللَّهَ بصَالِحِ أَعْمَالِكُمْ: قَالَ رجلٌ مِنْهُمْ: اللَّهُمَّ كَانَ لِي أَبَوانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ، وَكُنْتُ لَا أَغْبِقُ قَبْلَهُمَا أَهْلًا وَلَا مَالًا، فَنَأَ بِي طَلَبُ الشَّجَرِ يَوْمًا، فَلَمْ أَرِحْ عَلَيْهِمَا حَتَّى نَامَا، فَحَلَبْتُ لَهُمَا غَبُوقَهُمَا، فَوَجَدْتُهُما نَائِمَينِ، فَكَرِهْتُ أَنْ أُوقِظَهُمَا وَأَنْ أَغْبِقَ قَبْلَهُمَا أَهْلًا أَوْ مَالًا، فَلَبَثْتُ، والْقَدَحُ عَلَى يَدِي، أَنْتَظِرُ اسْتِيقَاظَهُمَا حَتَّى بَرِقَ الفَجْرُ، والصِّبْيَةُ يَتَضَاغَوْنَ عِنْدَ قَدَمَيَّ، فاسْتَيْقَظَا، فَشَرِبا غَبُوقَهُمَا، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذلِكَ ابتِغَاء وَجْهِكَ فَفَرِّجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ مِنْ هذِهِ الصَّخْرَةِ، فانْفَرَجَتْ شَيْئًا لَا يَسْتَطيعُونَ الْخُروجَ مِنْهُ.

306- رواه أحمد (3712)، وابن حبان (972)، والطبراني (10352) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه



قَالَ الْآخَرُ: اللَّهُمَّ إِنَّهُ كانَتْ لِيَ ابْنَةُ عَمٍّ، كَانَتْ أَحَبَّ النَّاسِ إِلَيَّ، فأَرَدْتُهَا عَلَى نَفْسِهَا، فامْتَنَعَتْ مِنِّي، حَتَّى أَلَمَّتْ بها سَنَةٌ مِنَ السِّنِينَ، فَجَاءتْنِي، فَأَعْطَيْتُهَا عِشْرِينَ وَمِئَةَ دِينَارٍ عَلَى أَنْ تُخَلِّيَ بَيْنِي وَبَيْنَ نَفْسِهَا، فَفعَلَتْ، حَتَّى إِذَا قَدَرْتُ عَلَيْهَا، وفي رواية: فَلَمَّا قَعَدْتُ بَينَ رِجْلَيْهَا، قالتْ: اتَّقِ اللهَ وَلَا تَفُضَّ الخَاتَمَ إِلَّا بِحَقِّهِ، فَانصَرَفْتُ عَنْهَا وَهِيَ أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ، وَتَرَكْتُ الذَّهَبَ الَّذِي أعْطَيتُها، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغاءَ وَجْهِكَ فافْرُجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فيهِ، فانْفَرَجَتِ الصَّخْرَةُ، غَيْرَ أَنَّهُمْ لَا يَسْتَطِيعُونَ الْخُرُوجَ مِنْهَا.

وَقَالَ الثَّالِثُ: اللَّهُمَّ اسْتَأْجَرْتُ أُجَرَاءَ، وأَعْطَيْتُهُمْ أجْرَهُمْ غيرَ رَجُلٍ وَاحِدٍ تَرَكَ الَّذِي لَهُ وَذهبَ، فَثمَّرْتُ أجْرَهُ حَتَّى كَثُرَتْ مِنهُ الْأَمْوَالُ، فَجَاءنِي بَعدَ حِينٍ، فَقالَ: يَا عبدَ اللهِ، أَدِّ إِلَيَّ أجْرِي، فَقُلْتُ: كُلُّ مَا تَرَى مِنْ أجْرِكَ: مِنَ الْإِبِلِ، وَالبَقَرِ، والْغَنَمِ، والرَّقِيقِ، فَقَالَ: يَا عَبْدَ اللهِ، لَا تَسْتَهْزِئْ بِي، فَقُلْتُ: لَا أسْتَهْزِئُ بِكَ، فَأَخَذَهُ كُلَّهُ، فاسْتَاقَهُ، فَلَمْ يتْرُكْ مِنْهُ شَيْئًا، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابتِغَاءَ وَجْهِكَ، فافْرُجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ، فَانْفَرَجَتِ الصَّخْرَةُ، فَخَرَجُوا يَمْشُونَ»[307].

أمثلة من التوسل بالأعمال الصالحة: ذكر أهل العلم أمثلة لتوسلات جائزة، بالأعمال الصالحة، يُرجى بها قبول الدعاء، منها:

أن تقول: يا رب، أسألك بأني عبدك الذليل، أسألك بأني مصدق بوعدك ووعيدك، أسألك بما عملته لك من الصالحات...

أو تقول: أسألك بأني أحبك، وأحب نبيك، وأحب عبادك الصالحين، أسألك بمحبتي لك، ومحبتي لهم، أن تجيب دعوتي، أو تقيل عثرتي...

أو تقول: أسألك بإيماني بك، وتصديقي لنبيك، واتباعي لشريعته، وإيماني بما جاء به، وتصديقي بكتابك وعملي به...

307- أخرجه: البخاري (3465)، ومسلم (2743) من حديث عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما



أو تقول: باتباعي لرسولك ومحبتي له وإيماني به وبسائر أنبيائك ورسلك وتصديقي لهم...

فهذا من أحسن الدعاء، والتوسل، والله أعلم.

3 - التوسل بدعاء الرجل الصالح في حياته، تسأله: يا فلان ادع الله لي، ثم تدعو: اللهم إني أسألك أن تقبل دعاءه لي، أو اللهم تقبل منه، وما أشبه ذلك.

مثاله: طلب إخوة يوسف مِن أبِيهم أنْ يَستغفِرَ الله لهم على ما وَقَعوا فيه مِن ذُنوبٍ في حقِّ أبيهم يَعقوبَ وأخيهم يوسُفَ عليهما السلام: ﴿**قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ**﴾[308].

وللأحاديث الكثيرة التي طلب فيها الصحابة رضي الله عنهم الدعاء من النبي ﷺ، كانوا يتوسلون بدعائه في حياته: أي يطلبون منه أن يدعو لهم، وهم يؤمِّنون على دعائه. فيجوز عند الحاجة كما في صلاة الاستسقاء، أو عند النوازل أن نختار أتقانا ونقدمه يدعو، ونؤمِّن على دعائه، فإنه أولى وأقرب إلى إجابة دعائنا، ونقول: يا ربنا! هذا عبدك الصالح قدمناه، ونحن نؤمِّن على دعائه، نسألك أن تجيب دعوته لنا، نسألك أن ترحمنا بدعائه وبدعائنا. فهذا التوسل ليس محرما، وهو كحديث تقديم عمر للعباس رضي الله عنه للاستسقاء[309].

التوسل الممنوع

انحرف كثير من الناس في باب الدعاء، فصاروا يدخلون فيه ما ليس بمشروع، ومن ذلك التوسل بالمخلوقين، والاستشفاع بالصالحين

308- سورة يوسف، الآيتين: 97 و 98.

309- سيأتي ذكر الحديث.

والقسم على الله بهم، وقد بين العلماء، السنة في الدعاء، وحرموا التوسل الممنوع، وردوا على شبهات المخالفين.

التوسل الممنوع والمحرم هو عبادة غير الله تعالى، ودعاء غير الله، بحجة أن المعبود من دون الله سيشفع لمن عبده عند الله، وهذا عمل المشركين، قال تعالى عنهم: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾[310] وقال سبحانه: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾[311].

دعاء الأنبياء والصالحين شرك أكبر: فلا يجوز أن نستغيث بهم، أو ننذر لهم، أو نتقرب إليهم بالذبائح، أو نطلب منهم المدد، وهذا كله شرك أكبر، وإن سماه بعضهم توسلًا.

التوسل إلى الله بجاه أو بحق أحد من الأنبياء أو الصالحين

إن التوسلَ بذات الأنبياء والصالحين الأحياء أو الأموات لم يفعله أحدٌ من أصحاب نبينا ﷺ، ولو كان خيرًا لسبقونا إليه. الجاهُ: «هوالمَنْزِلَةُ العَالِيَةُ والقَدْرُ»[312].

إن جاه نبينا محمدٍ ﷺ ومنزلته عند الله أعظم من جاه جميع الأنبياء والمرسلين، ومع ذلك لا يجوز لنا أن نتوسل به إلي الله تعالى لعدم ثبوت الأمر به عن النبيﷺولا الصحابة ولا التابعين لهم بإحسان. وأما ما يرويه بعض الناس بلفظ إذا سألتم الله فاسألوه بجاهي، فإن جاهي

310- سورة الزمر، الآية: 3

311- سورة يونس، الآية: 18

312- انظر لسان العرب، لابن منظور (ج 1 ص 773)

عند الله عظيم. فهذا باطل، ولا أصل له في شيء من كتب الحديث[313].

ومن التوسل المحرم عند جمهور العلماء أن يقول: اللهم إني أسألك بجاه نبيك، أو بجاه الأنبياء، أو بحق الأنبياء، أو بحق الوالدين، أو بحق فلان، أو بجاه فلان، هذا لا يجوز، وهو من وسائل الشرك. لأن الله لم يشرع لنا التوسل بحق فلان، ولا بجاه فلان، ولا بذات فلان، ولكنه شرع لنا التوسل بأسمائه الحسنى وصفاته العليا، وبأعمالنا الصالحة، قال ﷻ: ﴿**وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا**﴾[314].

ويستدل بعضهم بحديث أنس بن مالك، أنَّ عُمَرَ بنَ الخَطَّابِ رضي الله عنه كان إذا قَحَطوا استَسقَى بالعبَّاسِ بنِ عبدِ المُطَّلِبِ، فقالَ: «اللَّهمَّ إنَّا كنَّا نتوَسَّلُ إليك بنَبيِّنا فتسقِينا، وإنَّا نتوَسَّلُ إليك بعَمِّ نَبيِّنا، فاسقِنا، قالَ: فيُسقَون»[315] ؛ فظنوا أن عُمَرَ بنِ الخطَّابِ كان يستسقي بجاهِ العبَّاسِ رضي الله عنه، وهذا غيرُ صَحيحٍ، لأنَّه توسل بدُعاءِ العبَّاسِ، لا بذاتِه. ولو كان التوسل بالأمواتِ جائزًا لَتوَسَّلُ عُمَر رضي الله عنه بالنبيِّ أو بمقامِ النبي وجاهِه ﷺ، أو لتوسل بأبي بكر رضي الله عنه وهو من هو، أو بحمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه وهو سيد الشهداء[316] وهم بلا شك أفضل من العباس، فلما عدل عنهم وطلب من العبَّاسِ رضي الله عنهما أن يدعوَ لهم، دل ذلك على عدم جواز التوسل إلى اللهِ بالولي الميت أو الولي الغائب، ولا بقُبورِ الأنبياءِ والصَّالحين، ولا بجاهِهم.

313- انظر كتاب التوسل للألباني (ص 118-120)

314- سبق تخريجه في بداية التوسل.

301– رواه البخاري (3710) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه

316- حديث: «سَيِّدُ الشُّهَدَاءِ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ المُطَّلِبِ» رواه ابن حبان (186/1)، والحاكم 4884)، والألباني في الصحيحة (374) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه.

وجواز الاستسقاء بالعبد الصالح الحي، بأن نطلب منه أن يدعو، ونؤمن على دعائه، ونسأل الله أن يجيب دعاءنا معه، فهذا التوسل المشروع، وهذا ما فعله العباس رضي الله عنهما: قال ابن أبي العز الحنفي في شرح الطحاوية: «وهذا ونحوه من الأدعية المبتدعة ولم ينقل عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا عن الصحابة ولا عن التابعين ولا عن أحد من الأئمة رضي الله عنهم، وإنما يوجد هذا في الحروز والهياكل التي يكتب بها الجهال والطرقية، والدعاء من أفضل العبادات، والعبادات مبناها على السنة والاتباع لا على الهوى والابتداع... ولهذا قال أبو حنيفة وصاحباه رضي الله عنهم: يُكره أن يقول الداعي: أسألك بحق فلان أو بحق أنبيائك ورسلك، وبحق البيت الحرام والمشعر الحرام ونحو ذلك»[317].

وقد قَال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ، لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، يَا عَبَّاسُ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، وَيَا صَفِيَّةُ عَمَّةَ رَسُولِ اللَّهِ لَا أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، وَيَا فَاطِمَةُ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَلِينِي مَا شِئْتِ مِنْ مَالِي، لَا أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا»[318] قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعليقا على هذا الحديث: «إذا كان القرب من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يغني عن القريب شيئا، دل ذلك على منع التوسل بجاه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لأن جاه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

317- العقيدة الطحاوية، للإمام الطحاوي (ص 237)

318- رواه البخاري (2753) ومسلم(206) من حديث عائشة وأبو هريرة رضي الله عنهم

وَسَلَّمَ لا ينتفع به إلا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولهذا كان أصح قولي أهل العلم تحريم التوسل بجاه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»[319].

التوسل إلى الله عند قبور الصالحين

لا يجوز التوسل إلى الله تعالى بالدعاء عند قبور الصالحين لأن هذا مما نهى عنه النبي وحذر منه أمته، ولم يفعله أحدٌ من الصحابة أو التابعين رضي الله عنهم. قال رسول الله ﷺ: «اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْ قَبْرِى وَثَنًا، لَعَنَ اللَّهُ قَوْمًا اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ»[320].

جاء في شرح الحديث: «دَعا النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ رَبَّه قائلًا: اللَّهُمَّ لا تَجعَلْ قَبري وَثَنًا يُعبَدُ، والوَثَنُ: الصَّنمُ، والمَعنى: لا تَجعَلْ قَبْري مثلَ الصَّنمِ الذي يَعبُدُه النَّاسُ بتَعظيمِه، واستِقبالِهم نحوَه في السُّجودِ، وهذا ممَّا يَفعَلُه بعضُ جُهَلاءِ اليومِ في طَلبِ قُبورِ الصَّالحينَ وأضرِحَتِهم بالزِّيارةِ والدُّعاءِ عندَها؛ فكلُّ هذا ممَّا يُخالِفُ شَرعَ اللهِ عزَّ وجلَّ، وفيه نَوعٌ مِن الوَثنيَّةِ التي حذَّرَ منها الشَّرعُ المُطهَّرُ»[321].

319- مجموع فتاوى ورسائل، ابن عثيمين (9 / 285-288)

320- رواه البخاري (437)، ومسلم(530) من حديث أَبِى هُرَيْرَةَ رضي الله عنه

321- انظر شرح الحديث بالموسوعة الحديثية في الدرر السنية

الشفاعة

تعريف الشفاعة

لغة: الطلبُ، والشَّفَاعَةُ: كَلَامُ الشَّفِيعِ لِلْمَلِكِ فِي حَاجَةٍ يسأَلُها لِغَيْرِه، وشَفَعَ إِليه: طَلَبَ إِليه. والشَّافِعُ: الطَّالِبُ لِغَيْرِه، وَالْجَمْعُ شُفَعاءُ[322].

اصطلاحًا: التوسط للغير بجلب منفعةٍ مشروعةٍ له، أو دفع مضرة عنه[323] لتكريم الشافعين يوم القيامة، ولإيصال رحمة الله للمشفوع لهم.

أنواع الشفاعة: الشفاعة نوعان: شفاعة في الدنيا، وشفاعة في الآخرة.

الشفاعة في الدنيا

يقصد بها قضاء حوائج الناس المشروعة في الدنيا، ويؤجر عليها المؤمن، ونهينا عن الشفاعة فيما حرمه الله، قال تعالى: ﴿**مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقِيتًا**﴾[324] وقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اشْفَعُوا تُؤْجَرُوا، وَيَقْضِي اللَّهُ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا شَاءَ»[325].

322- انظر: لسان العرب، لابن منظور (ج 4 ص 2289)

323- انظر: كتاب العقيدة الصافية، لسيد عبد الغني (ص 184)

324- سورة المائدة، الآية: 35.

325- رواه البخاري (1432)، ومسلم (2627)من حديث أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِي رضي الله عنه

الشفاعة في الآخرة

الشفاعة في الآخرة، ثابتة للأنبياء، والرسل، والملائكة، والشهداء، والصالحين من عباد الله، والأدلة على ذلك كثيرة من القرآن والسنة، منها: قوله تعالى: ﴿**يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا**﴾[326] قال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لكلِّ نبيٍّ دعوةٌ مستجابةٌ، فتعجَّل كلُّ نبيٍّ دعوتَه، وإني اختبأتُ دعوتي شفاعةً لأمتي، فهي نائلةٌ من مات منهم لا يشركُ باللهِ شيئًا»[327].

الشفاعة ملك لله وحده

قال سبحانه وتعالى: ﴿**قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَّهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ثمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ**﴾[328] الشفاعة عند الله، ليست كشفاعة الدنيا، فالشفاعة في الآخرة كلها لله وحده، يرفع بها قدر الشافع، ويرحم بها المشفوع له، فلا يشفع الشافع إلا بإذنه، ولا يشفع الشافع إلا لمن يريد الله أن ينال الشفاعة، ولا يشفع الشافع إلا متى أذن الله له بها.

شروط الشفاعة

الشفاعة المقبولة عند الله عز وجل، لها ثلاثة شروط: إسلام المشفوع له، ورضا الله تعالى، وإذن الله تعالى بالشفاعة.

1- إسلام المشفوع له: قال الله تعالى: ﴿**وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ**﴾[329] قال الإمام السعدي: «لأن الشفعاء لا يشفعون في الظالم نفسه

326- سورة طه، الآية: 109

327- رواه البخاري (6304)، ومسلم (198) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه

328- سورة الزمر الآية 44

329- سورة غافر الآية 18.

بالشرك، ولو قدرت شفاعتهم، فالله تعالى لا يرضى شفاعتهم، فلا يقبلها»[330].

2- رضا الله تعالى: عن الشافع والمشفوع له: قال تعالى: ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى﴾[331].

3- إذن الله تعالى بالشفاعة: قال سبحانه: ﴿مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾[332].

أقسام الشفاعة

قسم علماء الإسلام الشفاعة إلى قسمين: شفاعة مثبتة. وشفاعة منفية.

الشفاعات المثبتة

هي الشفاعات التي أثبتها الله تعالى في كتابة الكريم، قال سبحانه: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾[333] وهي خاصة بأهل التوحيد والإيمان، منها:

الشفاعات الثابتة لنبينا محمد ﷺ

الشفاعة العظمى لنبينا محمد ﷺ في أهل الموقف، يسجد بين يدي ربه، ويحمده بمحامد عظيمة، ثم يأذن الله له في الشفاعة، فيشفع في أهل الموقف؛ حتى يقضى بينهم، وهي المقام المحمود الذي وعده الله

330- تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان: سورة غافر الآية 18.

331- سورة النجم الآية 26

332- سورة يونس الآية 3

333- سورة الأنبياء، الآية: 28

به في قوله تعالى: ﴿**وَمِنْ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا**﴾[334].

حديث الشفاعة العظمى: «أنا سَيِّدُ الناس يوم القيامة...فيأتوني فيقولون: يا محمد أنت رسول الله وخاتم الأنبياء، وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، اشْفَعْ لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ فأنْطَلِقُ فآتي تحت العرش فأقع ساجدًا لربي، ثم يفتح الله عليَّ من مَحَامِدِه وحُسْنِ الثناء عليه شيئًا لم يفتحه على أحد قبلي، ثم يقال: يا محمد ارفع رأسك، سَلْ تُعْطَهْ، اشْفَعْ تُشَفَّعْ، فأرفع رأسي، فأقول: أمتي يا رب، أمتي يا رب، أمتي يا رب...»[335].

شفاعة الرسول ﷺ لأهل الجنة لدخول الجنة

قال رسول الله ﷺ: «آتي باب الجنة يوم القيامة فأستفتح فيقول الخازن: من أنت؟ فأقول: محمد، فيقول: بك أمرت لا أفتح لأحد قبلك»[336].

شفاعته ﷺ في دخول أناس من أمته الجنة بغير حساب

استدل العلماء لهذه الشفاعة، بحديث أبي هريرة رضي الله عنه الطويل الذي ذكرناه في الشفاعة العظمى: «...ثُمَّ يُقَالُ يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ سَلْ تُعْطَهْ وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ فَأَرْفَعُ رَأْسِي فَأَقُولُ: أُمَّتِي يَا رَبِّ أُمَّتِي يَا رَبِّ أُمَّتِي يَا رَبِّ، فَيُقَالُ يَا مُحَمَّدُ: أَدْخِلْ مِنْ أُمَّتِكَ مَنْ لا حِسَابَ عَلَيْهِمْ مِنْ الْبَابِ الْأَيْمَنِ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، وَهُمْ شُرَكَاءُ النَّاسِ فِيمَا سِوَى ذَلِكَ مِنْ

334- سورة الإسراء، الآية: 79

335- رواه البخاري (3340)، ومسلم (194) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه

336- رواه مسلم في صحيحه (333) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه



الْأَبْوَابِ...» وحديث شفاعته ﷺ لعُكاشة بن مِحْصن رضي الله عنه، في دخول الجنة بغير حساب[337].

شفاعته ﷺ لأقوام من أهل الجنة بأن ترفع درجاتهم فيها

شفاعته لأناس من المؤمنين، من أهل الجنة، أن يزدادوا رفعة ودرجات في الجنة، كما ورد في حديث دعائه لأبي سلمة رضي الله عنه «قالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لأَبِي سَلَمَةَ، وَارْفَعْ دَرَجَتَهُ في المَهْدِيِّينَ، وَاخْلُفْهُ في عَقِبِهِ في الغَابِرِينَ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلَهُ يا رَبَّ العَالَمِينَ، وَافْسَحْ له في قَبْرِهِ، وَنَوِّرْ له فِيهِ»[338].

شفاعة الملائكة والنبيين والمؤمنين

من الشفاعات الأخرى المثبتة شفاعة الملائكة والنبيين والمؤمنين: كما في الحديث القدسي، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: شَفَعَتِ الْمَلَائِكَةُ، وَشَفَعَ النَّبِيُّونَ، وَشَفَعَ الْمُؤْمِنُونَ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنَ النَّارِ، فَيُخْرِجُ مِنْهَا قَوْمًا لَمْ يَعْمَلُوا خَيْرًا قَطُّ قَدْ عَادُوا حُمَمًا، فَيُلْقِيهِمْ فِي نَهَرٍ فِي أَفْوَاهِ الْجَنَّةِ يُقَالُ لَهُ: نَهَرُ الْحَيَاةِ، فَيَخْرُجُونَ كَمَا تَخْرُجُ الْحِبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ»[339].

شفاعة المؤمنين لإخوانهم

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وهو يتحدث عن المؤمنين الذين نجاهم الله من النار: «...وَإِذَا رَأَو أَنَّهُمْ قَدْ نَجَوْا فِي إِخْوَانِهِمْ، يَقُولُونَ: رَبَّنَا إِخْوَانُنَا، كَانُوا يُصَلُّونَ مَعَنَا، وَيَصُومُونَ مَعَنَا، وَيَعْمَلُونَ مَعَنَا، فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: اذْهَبُوا، فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ دِينَارٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجُوهُ، وَيُحَرِّمُ

337- حديث الشفاعة لعُكاشة بن مِحْصن: يَدْخُلُ الجَنَّةَ مِن أُمَّتي سَبْعُونَ أَلْفًا بغيرِ حِسَابٍ سبق تخريجه في: ص: 112

338- رواه مسلم (920) من حديث أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها

339- رواه مسلم في صحيحه (183) من حديث أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه



اللَّهُ صُوَرَهُم عَلَى النَّارِ، فَيَأْتُونَهُمْ وَبَعْضُهُمْ قَدْ غَابَ فِي النَّارِ إِلَى قَدَمِهِ، وَإِلَى أَنْصَافِ سَاقَيْهِ، فَيُخْرِجُونَ مَنْ عَرَفُوا، ثُمَّ يَعُودُونَ، فَيَقُولُ: اذْهَبُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ نِصْفِ دِينَارٍ فَأَخْرِجُوهُ، فَيُخْرِجُونَ مَنْ عَرَفُوا، ثُمَّ يَعُودُونَ، فَيَقُولُ: اذْهَبُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجُوهُ، فَيُخْرِجُونَ مَنْ عَرَفُوا...»[340].

أسباب نيل الشفاعة في الآخرة

ثبتت الشفاعة لأبواب من الخير، يجب على المؤمن التزامها والمحافظة عليها، ليكون من الفائزين بها، منها:

القرآن يشفع لأصحابه: قَالَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ: «اقْرَؤُوا الْقُرْآنَ، فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لِأَصْحَابِهِ»[341].

الصيام يشفع لأصحابه: قال رَسُولَ اللَّهِ ﷺ: «الصِّيَامُ وَالْقُرْآنُ يَشْفَعَانِ لِلْعَبْدِ يَقُولُ الصِّيَامُ: أَيْ رَبِّ إِنِّي مَنَعْتُهُ الطَّعَامَ وَالشَّهَوَاتِ بِالنَّهَارِ، فَشَفِّعْنِي فِيهِ وَيَقُولُ الْقُرْآنُ: مَنَعْتُهُ النُّوْمَ بِاللَّيْلِ فَشَفِّعْنِي فِيهِ فيُشَفعانِ»[342].

ترديد الأذان وطلب الوسيلة للنبي ﷺ توجب الشّفاعة: قَالَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا سَمِعْتُمُ الْمُؤَذِّنَ، فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ، فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً صَلَّى الله عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا، ثُمَّ سَلُوا اللهَ لِيَ الْوَسِيلَةَ،

340- جزء من حديث طويل رواه البخاري (7439) من حديث أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رضي الله عنه

341- رواه مسلم في صحيحه (804) من حديث أبي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيُّ رضي الله عنه

342- رواه أحمد (6626)، والطبراني (14672)، والألباني في صحيح الجامع (3882) من حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بنِ العَاصِ رضي الله عنهما

فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ، لَا تَنْبَغِي إِلَّا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللهِ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ، فَمَنْ سَأَلَ لِي الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ»[343].

صلاة الجنازة على الميت توجب له الشّفاعة: لحديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما أَنَّهُ مَاتَ ابْنٌ لَهُ بِقُدَيْدٍ أَوْ بِعُسْفَانَ، فَقَالَ: يَا كُرَيْبُ انْظُرْ مَا اجْتَمَعَ لَهُ مِنْ النَّاسِ؟ قَالَ: فَخَرَجْتُ فَإِذَا نَاسٌ قَدْ اجْتَمَعُوا لَهُ فَأَخْبَرْتُهُ، فَقَالَ: تَقُولُ هُمْ أَرْبَعُونَ، قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: أَخْرِجُوهُ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَا مِنْ رَجُلٍ مُسْلِمٍ يَمُوتُ، فَيَقُومُ عَلَى جَنَازَتِهِ أَرْبَعُونَ رَجُلًا لَا يُشْرِكُونَ بِاللَّهِ شَيْئًا إِلَّا شَفَّعَهُمْ اللَّهُ فِيهِ»[344].

الشهادة في سبيل الله توجب الشّفاعة: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يُشَفَّعُ الشَّهِيدُ فِي سَبْعِينَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ»[345].

الموت بالمدينة يوجب له الشّفاعة: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ اسْتَطَاعَ أَنْ يَمُوتَ بِالْمَدِينَةِ فَلْيَمُتْ بِهَا، فَإِنِّي أَشْفَعُ لِمَنْ يَمُوتُ بِهَا»[346].

قال الطيبي: «أمر بالموت بها وليس ذلك من استطاعته، بل هو إلى الله تعالى، لكنه أمر بلزومها والإقامة بها بحيث لا يفارقها، فيكون ذلك سببا لأن يموت فيها، فأطلق المسبب وأراد السبب، كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[347]»[348].

343- رواه مسلم (384) من حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بنِ العَاصِ رضي الله عنهما

344- رواه مسلم في صحيحه (948).

345- رواه أبو داود (2522)، وابن حبان (4660)، والألباني في صحيح سنن أبي داود (2522) من حديث أَبِي الدَّرْدَاءَ رضي الله عنه

346- رواه الترمذي (3917)، وأحمد (5437)، والألباني في السلسلة الصحيحة (1034/6) من حديث ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما

347- سورة آل عمران، الآية: 102

348- تحفة الأحوذي، بشرح جامع الترمذي، للحسين بن محمد بن عبد الله الطيبي (286/10)

الشفاعات المنفية

الشفاعة الباطلة

من الشفاعات التي نفاها القرآنُ الكريمُ، الشفاعة الباطلة التي لا تنفع أصحابها: ما يدَّعيه المشركون من شفاعة آلهتهم، لهم عند الله عز وجل، فإن هذه الشفاعة لا تنفعهم كما قال الله تعالى: ﴿**أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قل أَوَلَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَّهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ثم إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ**﴾[349]
قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى: «يقول تعالى ذاما للمشركين في اتخاذهم شفعاء من دون الله، وهم الأصنام والأنداد، التي اتخذوها من تلقاء أنفسهم بلا دليل ولا برهان حداهم على ذلك، وهي لا تملك شيئا من الأمر، بل وليس لها عقل تعقل به، ولا سمع تسمع به، ولا بصر تبصر به، بل هي جمادات أسوأ حالا من الحيوان بكثير»[350].

الشفاعة للمشركين

الشفاعة للكفار محرمة، لا تحل لهم، لأن الله عز وجل أعلمنا أنه لا يقبل فيهم شفاعة، ولا يغفر لهم، قال تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا**﴾[351] وقال عز وجل: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ**﴾[352] قال الإمام الطبري: «وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ: فدل بذلك على أن معنى ذلك: حرمنا الكفار النصرة من الأخلاء، والشفاعة من الأولياء والأقرباء، ولم نكن لهم في فعلنا ذلك بهم

349- سورة الزمر، الآيتين: 43 و44.
350- تفسير ابن كثير، سورة الزمر، الآية: 43.
351- سورة النساء، الآية: 48.
352- سورة البقرة، الآية: 254



ظالمين، إذ كان ذلك جزاء منا لما سلف منهم من الكفر بالله في الدنيا، بل الكافرون هم الظالمون أنفسهم بما أتوا من الأفعال التي أوجبوا لها العقوبة من ربهم»[353].

طلب الشفاعة من غير الله ﷻ

يحرم طلب الشفاعة من غير الله تعالى، لأنه دعاء لغير الله تعالى، وذلك أن الشفاعة ملك لله وحده، يهبها سبحانه لمن شاء، قال تعالى: ﴿**قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَّهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ**﴾[354] فلا تطلب الشفاعة من الأموات: لا من ملك مقرب، ولا نبي مرسل، ولا ولي صالح، ولا، غيرهم، ولا نطلبها إلا من الله تعالى. فلا يجوز أن تقول اشفع فينا يا رسول الله، والصحيح أن تقول: يا رب شفعه فينا، لأن النبي ﷺ وهو أشرف الخلق وأعلاهم منزلة عند الله، لا يشفع إلا بعد أن يأذن الله سبحانه وتعالى له، فكيف بمن هو دونه؟ قال تعالى: ﴿**وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِن بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَىٰ**﴾[355].

شفاعة اللَّعَّانِينَ

وممن لا يقبل الله شفاعتهم يوم القيامة اللعانون، قَالَ رَسُولَ اللهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّعَّانِينَ لَا يَكُونُونَ شُهَدَاءَ، وَلَا شُفَعَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[356].

اللَّعَّانُون: هم الذينَ يُكْثِرُونَ مِن لعْنِ الناس، واللَّعْنُ: هو الطردُ من رحمة الله تعالى.

353- تفسير الإمام الطبري، سورة البقرة، الآية: 254

354- سورة الزمر، الآية: 44.

355- سورة النجم، الآية: 26.

356- رواه مسلم في صحيحه (2598) من حديث أَبِي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه



الغُلُوّ

تعريف الغلو

لغة: الغلو مجاوزة الحد والقدر، يقال: غَلَا الرَّجلُ في الأمر غُلُوًّا، إذا جاوَزَ حدَّه[357].

اصطلاحًا: قال شيخ الإسلام رحمه الله: «الغلو: مجاوزة الحد، بأن يزاد في الشيء، في حمده أو ذمه على ما يستحق ونحو ذلك»[358].

الغُلو في الصالحين أعظم أسباب الشرك

والغلو في الأنبياء والصالحين من أخطر وأعظم الأسباب التي توقع في الشرك، وما وقع الشرك في الأرض إلا بالغلو في الصالحين، قال الحافظ بن كثير، نقلا عن ابن عباس رضي الله عنهما في تفسيره لقوله تعالى: «﴿**وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا**﴾[359]: هي أسماء رجال صالحين من قوم نوح عليه السلام، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصابا وسموها بأسمائهم، ففعلوا، فلم تعبد حتى إذا

357- انظر معجم مقاييس اللغة، مادة: غلوى.

358- اقتضاء الصراط المستقيم، ابن تيمية (289/1)

359- سورة نوح، الآية: 23



هلك أولئك وتنسخ العلم عبدت»[360] وهذه الأوثان التي كانت في قوم نوح، هي التي عبدها العرب، وقد ذكر ابن عباس رضي الله عنهما كل إله منها، والقبيلة التي صار عندها.

صور ومظاهر الغُلو المنتشرة في بلاد المسلمين

من صور الغلو المنتشرة اليوم في بلاد المسلمين، الغلو في الأولياء والصالحين، فكثير من الناس، يدعونهم من دون الله، فترى أحدهم يتضرع: يا سيدي (...) اغفر لي وارحمني، أو اشف مريضي، أو رد غائبي. أو أنا مريض امنن علي بالشفاء، وأنا في حبل جوارك...

وآخرين يعبدون القبور بالاستغاثة بمن فيها من الموتى فيتمسحون بها، أو يقبلون أعتابها، أو يعفرون وجوههم بترابها، وتراهم يقفون عندها متذللين خاشعين سائلين حاجاتهم من الحصول على الولد، أو شفاء المريض، أو تيسير الحاجات.

وكل ذلك من الشرك الأكبر، لأن الأموات لا يقدرون على قضاء الحاجات، والدعاء عبادة لا يجوز أن تصرف لغير الله تعالى.

زيارة قبور الأولياء والصالحين

كثير من المسلمين يتوجهون للزوايا، ولقبور الأولياء والصالحين ومقاماتهم، قصد الدعاء، والتبرك بهم، فاعلم يرحمك الله أن هناك زيارات جائزة، مشروعة، وهناك زيارات شركية محرمة:

الزيارات الشرعية الجائزة

يسن زيارة القبور والسلام على أهلها، والدعاء لهم، فقد أجمع علماء الإسلام على أن زيارة الرجل للقبور التي يقصد بها الاعتبار، وتذكر الموت، والدعاء للميت، هي سنة مستحبة[361] قال رسول الله ﷺ:

360- تفسير ابن كثير، سورة نوح، الآية:23 ورواه البخاري في كتاب التفسير حديث (4654)

361- انظر المجموع، للإمام النووي (ص 16)



«كنتُ نهيتُكم عن زيارَةِ القبورِ ألا فزورُوها، فإنَّها تُرِقُّ القلْبَ، وتُدْمِعُ العينَ، وتُذَكِّرُ الآخرةَ، ولا تقولوا هُجْرًا»[362] وكان ﷺ يزور قبور أهل البقيع، والشهداء بأحد ويدعو لهم، فعن عائشة رضي الله عنها، قالت: كانَ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ، كُلَّما كانَ لَيْلَتُهَا مِن رَسولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ، يَخْرُجُ مِن آخِرِ اللَّيْلِ إلى البَقِيعِ، فيَقولُ: السَّلَامُ علَيْكُم دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ، وَأَتَاكُمْ ما تُوعَدُونَ غَدًا، مُؤَجَّلُونَ، وإنَّا، إنْ شَاءَ اللَّهُ، بكُمْ لَاحِقُونَ، اللَّهُمَّ، اغْفِرْ لأَهْلِ بَقِيعِ الغَرْقَدِ وَلَمْ يُقِمْ قُتَيْبَةُ قَوْلَهُ وَأَتَاكُمْ»[363].

كلَّما كان ليلَتُها: إذا بات عِندَها. البَقيعِ: بَقيعِ الغَرْقَدِ، وهي المقبرَةُ المعروفةُ الَّتي يَدفِنُ بها أهلُ المدينةِ مَوْتاهم.

وعلمنا النبي ﷺ الدعاء عند زيارة القبور: «السَّلامُ على أهلِ الدِّيارِ مِن المؤمنين والمُسلمين، يَرحَمُ اللهُ المُستقدِمين منَّا والمُستأخِرِين، وإنَّا إنْ شاءَ اللهُ بكم لَلَاحِقون، نسأل الله لنا ولكم العافية، يغفر الله لنا ولكم».

الزيارات الشركية المحرمة

جاء في الشرع تحريم بناء المساجد على القبور، ودفن الموتى في المساجد، لكن كثيرا من الناس يقصدون قبور الأولياء، ومقاماتهم، للدعاء: فالزيارة التي يقصد بها أن يطلب من الميت الحوائج أو يطلب منه الشفاعة، كالذي يدعو الولي أو يستغيث به، أو يطلب منه قضاء حوائجه، أو ينذر أو يذبح له، فهذا من الشرك الأكبر، لأنه ترك الخالق ودعا المخلوق.

362- رواه أحمد (13487)، والحاكم (1393)، والألباني في صحيح الجامع (4584) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه

363- رواه مسلم في صحيحه (974)



ومثله الذي يزور مقام الولي، أو قبر الرجل الصالح، من أجل أن يصلي عنده، أو يدعو الله أو يقرأ القرآن عنده، لأنه يعتقد أن ذلك أجوب للدعاء، فالزيارة على هذه الوجوه كلها مبتدعة لم يشرعها النبي ﷺ ولا فعلها الصحابة رضي الله عنهم، لا عند قبره ﷺ ولا عند غيره، وهي من جنس الشرك وأسباب الشرك.

وأعظم منها ما يفعله كثير من الجهلة في هذا الزمن، باسم الأولياء، من منكرات عند المقامات والأضرحة، (يسمونها حضرات) فتختلط النساء المتبرجات المتعطرات بالرجال، وتعلو أصوات المنشدين، ويتساقط بعضهم في رقص جنوني، ويدعون أنه ذكر.

ثم ابتدعوا ما أعظم من ذلك، ما يسمونه بالخرجات (يقولون خرجت سيدي فلان) يبدئونها بالتجمع عند مقام الولي، ثم يخرجون رجال ونساء وأطفال، ويتجولون في الشوارع والأزقة، وترفع الأعلام، وتعلو أصوات المنشدين، حتى حولوها لمهرجانات غناء، ولهو، وتسلية للناس، وجمع للسياح الأجانب، ويقولون: للتعريف بتقاليدنا، وثقافتنا، وديننا؟ وما أبعد هذه المنكرات والبدع عن الدين.

وفي بعض المدن، صاروا ينظمون هذه الخرجات في المسارح، لجمع أعداد أكبر من الناس، فترى البخور يرتفع من كل مكان، وترى من يرقص من الرجال والنساء، ويتساقط بعضهم، في مشاهد تمثيلية، وكل هذا يفعل باسم الأولياء والصالحين، وهم منه برئاء، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

زيارة مقامات الأولياء للصلاة فيها

حتى من يزعم أنه يزور مقام الولي فقط ليصلي فيه، فإن ذلك محرم عليه، لما تواتر من نهي النبي ﷺ عن الصلاة في المكان الذي فيه قبر، ولعنه من اتخذ القبور مساجد، قال رسول الله ﷺ: «لا تُصَلُّوا إلى



القُبورِ ولا تجلِسوا عليها»[364] وقال ﷺ: «ألَا وإنَّ مَن كانَ قَبْلَكُمْ كَانُوا يَتَّخِذُونَ قُبُورَ أنْبِيَائِهِمْ وصَالِحِيهِمْ مَسَاجِدَ، ألَا فلا تَتَّخِذُوا القُبُورَ مَسَاجِدَ، إنِّي أنْهَاكُمْ عن ذلكَ»[365] وعن عائشة رَضِيَ اللهُ عنها قالت: «لمَّا نَزَلَ برَسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، طَفِقَ يَطرَحُ خَميصةً على وجْهِه، فإذا اغتَمَّ كَشَفَها عن وجْهِه، فقالَ وهو كذلك: «لَعنةُ اللَّهِ على اليَهودِ والنَّصارى؛ اتَّخَذوا قُبورَ أنبِيائِهم مَساجِدَ» يُحذِّرُ ما صَنَعوا»[366].

قال أبو عبد الله القرطبي عن شِرارِ الخَلْقِ عند اللهِ: «قال علماؤُنا: وهذا يُحرِّمُ على المسلِمين أن يتَّخِذوا قبورَ الأنبياءِ والعُلَماءِ مَساجِدَ»[367].

وقال شيخ الإسلام بن تيمية: «اتَّفَق الأئمَّةُ على أنَّه لا يَتمسَّحُ بقبرِ النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم ولا يُقبِّلُه. وهذا كُلُّه محافظةٌ على التَّوحيدِ؛ فإنَّ من أصولِ الشِّرْكِ باللهِ: اتخاذَ القُبورِ مَساجِدَ»[368].

وقال الإمام السيوطي: «...وإنَّما المقصودُ الأكبَرُ بالنَّهيِ إنَّما هو مَظِنَّةُ اتِّخاذِها أوثانًا، كما ورد عن الإمامِ الشافعي رَضِيَ اللهُ عنه أنَّه قال: وأكرَهُ أن يُعظَّمَ مخلوقٌ حتَّى يُجعَلَ قبْرُهُ مسجدًا؛ مخافةَ الفتنةِ عليه مِن بَعْدِه مِن النَّاسِ»[369].

وقد سئل الشيخ العثيمين رحمه الله عن حكم الصلاة في مسجد فيه قبر؟ فأجاب: «الصلاة في مسجد فيه قبر على نوعين: الأول: أن يكون القبر سابقًا على المسجد، بحيث يبنى المسجد على القبر، فالواجب هجر هذا المسجد وعدم الصلاة فيه، وعلى من بناه أن يهدمه، فإن

364- رواه مسلم في صحيحه (972) عن أبي مرثد الغنوي رضي الله عنه

365- رواه مسلم (532) من حديث الحارث النجراني رضي الله عنه

366- رواه البخاري في صحيحه (3453)

367- الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (380/10)

368- مجموع الفتاوى، ابن تيمية (27/ 191)

369- الأمر بالاتباع والنهي عن الابتداع، لجلال الدين السيوطي (ص 116)

لم يفعل وجب على ولي أمر المسلمين أن يهدمه. والنوع الثاني: أن يكون المسجد سابقًا على القبر، بحيث يدفن الميت فيه بعد بناء المسجد، فالواجب نبش القبر، وإخراج الميت منه، ودفنه مع الناس. وأما المسجد فتجوز الصلاة فيه بشرط ألا يكون القبر أمام المصلي، لأن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن الصلاة إلى القبور»[370].

جواز صلاة الجنازة في المقابر

ويستثنى من ذلك: صلاة الجنازة، فإنها تصح في المقبرة، قد ثبت أن النبي ﷺ، صلى على المرأة التي كانت تنظف المسجد بعد ما دفنت في قبرها: «أنَّ رَجُلًا أسْوَدَ أوِ امْرَأَةً سَوْدَاءَ كانَ يَقُمُّ المَسْجِدَ فَمَاتَ، فَسَأَلَ النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ عنْه، فَقالوا: مَاتَ، قالَ: أفلا كُنْتُمْ آذَنْتُمُونِي به دُلُّونِي علَى قَبْرِهِ - أوْ قالَ قَبْرِهَا - فأتَى قَبْرَهَا فَصَلَّى عَلَيْهَا»[371] قال أهل العلم: «وفيه: مَشروعيَّةُ الصَّلاةِ على الميِّتِ الحاضِرِ عندَ قَبْرِه لمَن لم يُصَلِّ عليه»[372].

لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد

ويستثنى من ذلك المسجد النبوي، قال رسول الله ﷺ: «لا تُشَدُّ الرِّحالُ إلَّا إلى ثلاثةِ مساجدٍ: المسجدُ الحرامُ، ومسجدي هذا، والمسجدُ الأقصى»[373].

لا تشد: النفي، والمراد النهي. الرحال: جمع رحل وهو كور البعير، وهو للبعير كالسَرج للفرس، وكني بشد الرحال عن السفر، لأنه لازمه.

370- مجموع فتاوى، الشيخ ابن عثيمين (12/السؤال رقم 292).

371- رواه البخاري (458) ومسلم (956) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه

372- انظر شرح الحديث، بالموسوعة الحديثية في الدرر السنية

373- رواه البخاري (1864)، ومسلم (827) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه

فمن السنة شد الرحال والسفر للمسجد النبوي بنية الصلاة فيه، لا أن تسافر بنية زيارة قبر النبي ﷺ، ويشرع للمسلم مع ذلك السلام عليه عند قبره ﷺ، وقراءة الصلاة الإبراهيمية، وأن يسأل الله له الوسيلة والفضيلة، وأن يبعثه الله المقام المحمود، ثم يسلم على أبي بكر، وعلى عمر رضي الله عنه، وأن يسأل الله أن يحشره في زمرته، ويتوفاه على سنته، ويورده حوضه، ويشفعه فيه. ولا يجوز لزائر المسجد النبوي التمسّح بالحجرة النبوية، ولا التعلق ببابها، ولا يجوز أن يطلب شيئا من الرسول ﷺ ولا من غيره، لا أن يُفَرِّج عنه كُرَبَهُ، ولا أن يقضي له حوائجه، ولا أن يشفي مريضه، ولا أن يشفع فيه في الآخرة، فكل ذلك، لا يطلب الا من الله عز وجل. قال ﷺ: «إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلْ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ[374].

لا يجوز الاحتجاج بقبر النبي ﷺ في المسجد

ولا يصح الاحتجاج بكون قبر النبي داخل مسجده، فلم يدفن في المسجد ﷺ، فلا يجوز أن يعارض ما ورد عنه من النهي عن اتخاذ القبور مساجد، بهذا: قال الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله تعالى: «هنا شبهة يشبه بها عُبَّاد القبور، وهي: وجود قبر النبي صلى الله عليه وسلم في مسجده، والجواب عن ذلك: أن الصحابة رضي الله عنهم لم يدفنوه في مسجده، وإنما دفنوه في بيت عائشة رضي الله عنها، فلما وَسَّعَ الوليد بن عبد الملك مسجد النبي صلى الله عليه وسلم في آخر القرن الأول أدخل الحجرة في المسجد، وقد أساء في ذلك، وأنكر عليه بعض أهل العلم، ولكنه اعتقد أن ذلك لا بأس به من أجل التوسعة .فلا يجوز لمسلم أن يحتج بذلك على بناء المساجد على القبور، أو

374- رواه الترمذي (2516)، وأحمد (2803)، والبيهقي في: الاعتقاد (ص139) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما

الدفن في المساجد ؛ لأن ذلك مخالف للأحاديث الصحيحة ؛ ولأن ذلك أيضا من وسائل الشرك بأصحاب القبور»[375].

375- مجموع فتاوى، الشيخ ابن باز (389/3885)



الخاتمة

الحمد لله الذي بحمده تتم الصالحات، والصلاة والسلام على نبيه وآله وصحبه ومن والاه، أما بعد:

أخي المؤمن، وفقني الله وإياك لما يحبه ويرضاه، فقد رأيت أن التوحيد هو العاصم بإذن الله، وهو أول ما يجب أن يعتني به كل مسلم ويتعلمه، فهو أصل الدين، وقاعدة الإسلام، ومن أجله أرسلت الرسل، وأنزلت الكتب، وهو أول ما يسأل عنه المرء في قبره، وبه يلقى ربه، وبه ينقسم الناس فريقين، مؤمن موحد، ومشرك معدد، ولا يستوي الفريقين، فريق في الجنة، وفريق في السعير.

فلا تغفل يا مؤمن عن هذه القضية، خاصة ونحن في زمن قد انتشرت فيه الفتن، وكثرت الطوائف والفرق، وعم الجهل والبدع كثيرا من بلاد الإسلام، فلا ينجو إلا من حقق العبودية والإيمان، وسلمت عقيدته من الأدران.

هذا ما وفقت إليه فإن أحسنت فمن الله وحده، وإن أخطأت أو قصرت فمن نفسي والشيطان.

أسأل الله الكريم أن يثيب كل من أعان على إتمام هذا العمل، أو ساهم في إنجازه ونشره، بأي مساعدة أو إسهام. وأسأله سبحانه وتعالى أن يتقبله مني، وأن يجعله خالصا لوجهه الكريم، وأن ينفع به، ويجعل

فيه البركة والقبول، وأن يجعله لي ذخرا يوم الدين، يوم لا ينفع مال ولا بنون، إلا من أتى الله بقلب سليم، والله من وراء القصد، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، والحمد لله رب العالمين.



فهرس الموضوعات



التوحيد هو حق الله تعالى على العباد، وهو أول واجب على المسلم، وشرط لقبول الطاعات، فلا يقبل الله عز وجل عملا بدونه، ولا يرضى عن عبد إلا بتحقيقه، وهو أصل دعوة الرسل، وغاية الخلق، فإنَّ الله عز وجل لم يخلق الإنس والجن إلا لعبادته وحده.

وعلم العقيدة والتوحيد من أهم العلوم التي ينبغي للمسلم أن يتعلَّمها، فبها نجاته في الدنيا والآخرة، وفِي هذا الكتاب كل ما يجب أن يعرفه المسلم من التوحيد والعقيدة الصحيحة، الثابتة من الكتاب والسنة.

وقد تضمن الكتاب: التوحيد، مفهومه، وأهميته في الدين، وأقسامه، وفضائله في القرآن والسنة، وفيه أركان الإسلام، والإيمان.

كما تضمن الحديث عن الشرك وهو ضد التوحيد، لأن الشرك إذا خالط العبادة أفسدها، وفيه: حقيقة الشرك، وأقسامه، وأنواعه، ومضاره في القرآن والسنة، وتضمن الكتاب الأفعال التي قد تعد من الشرك، أو تؤدي إليه، ليحذرها المسلم، فلا يقع فيها، ومنها: السحر، والعرافة، والكهانة، والتطير، والتمائم، والتوسل، والغلو.

ISBN : 978-2-9592257-2-7

